Settler Colonial Studies

Routledge
Taylor & Francis Group

ISSN: 2201-473X (Print) 1838-0743 (Online) Journal homepage: http://www.tandfonline.com/loi/rset20

Arabic Translation: Settler Colonialism and the Elimination of the Native (2006)

Patrick Wolfe

To cite this article: Patrick Wolfe (2012) Arabic Translation: Settler Colonialism and the Elimination of the Native (2006), Settler Colonial Studies, 2:1, 226-252, DOI: 10.1080/2201473X.2012.10648834

To link to this article: http://dx.doi.org/10.1080/2201473X.2012.10648834

Copyright Settler Colonial Studies

Published online: 28 Feb 2013.

Submit your article to this journal

Article views: 481

View related articles

Full Terms & Conditions of access and use can be found at
http://www.tandfonline.com/action/journalInformation?journalCode=rset20

Download by: [216.230.148.77] **Date:** 04 June 2016, At: 13:09

الكولونيالية الإستيطانية واستئصال/محو السكان الأصليين

باتريك وولف

ترجمة: داليا طه

لا يعتبر سؤال الإبادة الجماعية أبدا بعيدا عن النقاشات حول الاستعمار الاستيطاني. فالأرض هي الحياة- أو على الأقل الأرض ضرورية للحياة. وبالتالي فإن الصراع على الأرض يمكن أن يكون وعادة ما هو- صراع على الحياة. لكن هذا لا يعني أن الاستعمار الاستيطاني هو ببساطة أحد أشكال الإبادة الجماعية. ففي بعض مواقع الاستعمار الاستيطاني(وفي هذه الحالة من الممكن التفكير بفيجي)، فإن مجتمع السكان الأصليين وعلى الرغم من أنه ظل على حاله بصعوبة كان قادرا على استيعاب الغزاة والنظام الاجتماعي الاقتصادي المتحول الذي قاموا بإدخاله. وحتى في مواقع أخرى حيث كانت مصادرة الأراضي تتم على مقاييس ضخمة كما في أستراليا أو أمريكا الشمالية، فإن الإبادة الجماعية الناتجة عن الاستعمار الاستيطاني لم تكن موزعة بشكل متساو في المكان والزمان. قد تملك التشريعات الخاصة بالسكان الأصليين في أستراليا أو قانون سيادة الهنود الحمر في الولايات المتحدة خصائصا ضارة، ولكنها بالكاد تقارن بأثر الاقتتال على الحدود. بالإضافة إلى ذلك فإن الإبادة الجماعية قد تحصل في غياب الاستعمار الإستيطاني. إن أكثر الإبادات الجماعية شهرة تلك التي حصلت داخل أوروبا، كما أن الإبادات الجماعية التي ارتكبت في أرمينيا، كامبوديا، راواندا أو (وبحذر أقولها) دارفور لا تبدو مرتبطة باستعمار استيطاني. في هذه المقالة سأبدأ في استكشاف، بأسلوب مقارن، العلاقة بين الإبداة الجماعية، والنزعة الكولونيالية-الاستيطانية والتي سأسميها بمنطق المحو/الإلغاء(1). سأجادل بأنه على الرغم من أن الحالتين قد تداخلتا –أي أن منطق الإلغاء/المحو في الكولونيالية الاستيطانية قد تجلى أحيانا على شكل إبادة جماعية- فإنه يجب التفريق بينهما، فالكولونيالية الاستيطانية قائمة بطبيعتها على الإلغاء والمحو ولكنها ليست مرتبطة بجميع الحالات بالإبادة الجماعية.

وظفت كل من الإبادة الجماعية والكولونيالية الاستيطانية في الممارسات الأوروبية الثيمة التنظيمية للعرق. فتاريخ الرهاب(السينوفوبيا) الأوروبي كما في معاداة السامية، الرهاب من الإسلام، والرهاب من الزنوج يعتبر أكثر قدما من العرق، والذي كما أظهر الكثيرون أصبح بشكل منطقي مُدمجا صلبا مع نهاية القرن الثامن عشر(2). ولكن حقيقة أن العرق هو عبارة عن بناء اجتماعي لا يخبرنا بالضرورة الكثير. فكما جادلت، هناك أنظمة عرقية مختلفة تطوع وتعيد انتاج نفس العلاقات اللامتساوية والتي باستخدامها قامت أوروبا باضطهاد هذه الجماعات. على سبيل المثال، فقد تم التصنيف العرقي/العنصري للسود والهنود الحمر في الولايات المتحدة بطريقتين متعاكستين تعكس دورهما المتناقض في تشكيل المجتمع الأمريكي. فاستعباد السود أنتج تصنيفا حصريا يؤدي بشكل تلقائي إلى استعباد

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

نسل أي عبد بغض النظر عن عرق الوالد الآخر. ومع حمى تجارة الاستعباد تمت إعادة بلورة هذا التصنيف ليصبح عرقيا بشكل كلي بواسطة قانون "القطرة الواحدة" بحيث أن وجود أي درجة من السلالة الأفريقية في تاريخ الشخص وبغض النظر عن بعدها، وبغض النظر عن التشابه المظهري تجعل من الشخص أسودا. أما بالنسبة للهنود الحمر وبتناقض صارخ فإن أية أصول لاهندية كانت تسبب تهديدا وتشكيكا في تصنيف الشخص كأحد السكان الأصليين للبلد، منتجة "ذرية مهجنة" وحكومة قائمة على قوانين نسبة الدم. مقابل المستعبدين، الذين يضمن تكاثرهم تراكم ثروة ملاكهم، فإن السكان الأصليين يعرقلون استيلاء المستوطنين على الأرض، وبالتالي فإن تزايدهم كان يحمل نتائجا معاكسة. بهذه الطريقة فإن التصنيف العرقي المقيد للهنود الحمر عزز بشكل مباشر منطق الإلغاء/المحو. ولهذا فإننا لا نستطيع أن نقول ببساطة أن الكولونيالية الاستيطانية أو الإبادة الجماعية كانت موجهة ضد أعراق معينة، وذلك لأن العرق لا ينوجد بحد ذاته، بل يصنع أثناء استهداف جماعية معينة(3). لقد تم تصنيف السود بشكل عرقي كعبيد، العبودية هي ما شكل لون بشرتهم السوداء. وبالمقابل فإن السكان الأصليين لأمريكا الشمالية لم يقتلوا، يطردوا، أو يعاد بعثهم بذاكرة رومانسية، استيعابهم، حبسهم، توليدهم كذوو بشرة بيضاء ومحوهم كسكان أصليين للأرض، بل كهنود. لقد غابت هذه النقطة عن روجير سميث في سعييه للتميز بين من يقتل لوجوده في مكان معين، وبين من يقتل لما هو عليه.(4) طالما يتعلق الأمر بالسكان الأصليين فإن فما هم عليه هو المكان الذي ينوجدون فيه، وليس ذلك فقط حسب اعتقادهم هم. كما أشارت ديبورا بيرد روز، كل ما على سكان الارض الأصليين أن يفعلوه للوقف في وجه استعمار المستوطن هو البقاء في الوطن.(5) وبغض النظر عن ما يقوله المستعمرون – وهم عادة لديهم الكثير ليقولوه- فإن الدافع الرئيسي للإلغاء ليس العرق (أو الدين، أو الإثنية، أو درجة الحضارة) ولكن الحصول على الأرض. التوسع في المكان هو العنصر الخاص الذي لا يمكن اختزاله للكولونيالية الاستعمارية.

لا يشير منطق الإلغاء فقط إلى تصفية السكان الأصليين، على الرغم من أنه يشمل ذلك. إذ تحمل الإبادة الجماعية كما وصفها رافئيل ليمكن قواسما مشتركة مع الكولونيالية الاستيطانية(6) وهي بأنها تملك أبعاد سلبية وإيجابية. من الناحية السلبية، فإنها تسعى إلى إبادة المجتمعات الأصلية. من الناحية الإيجابية فهي تبني مجتمعا كولونياليا جديدا على قاعدة الأراضي المصادرة- وكما أضعها فالمستعمرون الاستياطنيون أتوا ليبقوا: فالاجتياح هو منظومة وليس حدثا(7). في جانبه الإيجابي، فإن المحو/الإلغاء قاعدة منظمة للمجتمع الكولونيالي الاستيطاني أكثر من كونه حدثا يقع لمرة واحدة ويسعى للإحلال. من الممكن أن تشمل النتائج الإيجابية لمنطق الإلغاء/المحو تشجيع اختلاط الأجناس، انهيار تشريعات السكان الأصليين واستحداث أخرى تشجع الملكية الفردية، المواطنة، اختطاف الأطفال، التحول الديني، وإعادة التنشئة الاجتماعية في المؤسسات الكلية مثل البعثات، المدارس الداخلية، بالإضافة إلى مدى واسع من أنواع المحاكاة البيو-ثقافية المتشابهة. جميع هذه الاستراتيجيات بالإضافة إلى الاقتتال على الحدود تعتبر من خصائص الكولونيالية الاستعمارية، وبعضها تعتبر أكثر إشكالية في دراسات الإبادة الجماعية من أخرى.

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

إن الكولونيالية الاستيطانية تدمر لتحل. وكما لاحظ ثيودور هيرتسل، الأب المؤسس للصهيونية، في بيانه/روايته المجازية، " إذا كنت أرغب في استبدال مبنى قديم بجديد، فعلي أن أدمر القديم قبل أن ابدأ بالبناء.(8) في نوع من التحقق لهذا الاعتراف بعد ما يقرب نصف القرن، يستذكر رئيس بلدية غرب القدس ميرون بينفينيستي "كأحد أعضاء حركة الرواد الشباب، أنا نفسي جعلت الصحراء تزهر، باقتلاع أشجار الزيتون القديمة لإعداد الأرض لزراعة أشجار الموز، كما تطلبت منا مبادئ التخطيط الزراعي للكيبوتس الذي انتمي له، روش هانيكرا".(9) إن إعادة التسمية يعتبر مركزيا بالنسبة لطمس الحضور العربي الفلسطيني وإحلال حضور آخر مكانه في الخرائط المسحية، كما عبر عنه بينفينيستي بشكل حاد.(10) بالمقارنة، وبالإشارة لأستراليا، يوضح توني بيرش الصيرورة المتناقضة إذ حاول السكان البيض في أستراليا إفشال مخطط لإعادة تسمية منتزه غاريويرد بأحد اشتقاقات "غرامبيانز" وهو الاسم الذي أُطلق على هذه التلال عقب تجريدها من ملاكها الأصليين والاستيلاء عليها في القرن التاسع عشر.(11) أيديولوجيا، على أية حال، هناك اختلاف جوهري بين الحالة الاسترالية والاسرائيلية. فإن إمكانية أن تقوم السلطات الإسرائيلية بتغيير الأسماء العبرية للأماكن كما وصفها بينيفيستي والعودة لأسمائها العربية الأصلية هي إمكانية خيالية غير قابل للتصديق. في أستراليا وبشكل مثير للتناقض (وكما في العديد من المجتمعات الاستعمارية)، ينطوي محو هوية السكان الأصليين على تعارض مع التأكيد على القومية الاستعمارية. فمن جهة هناك حاجة عملية لدى المجتمع الاستعماري للقضاء على السكان الأصليين من أجل أن يكون قادرا على ترسيخ نفسه على أرضهم. ولكن على المستوى الرمزي، وبغض النظر، فإن المجتمع الاستعماري سعى إلى إعادة بعث هوية السكان الأصليين من أجل التعبير عن تميزه- وبالتالي عن استقلاليته- عن الدولة الأم. ومن هنا فليس من المفاجئ أن حكومة أسترالية تقدمية ستسعى إلى إسباغ روح من هوية السكان الأصليين على منطقة جغرافية حملت اسما مستعملا لسلسلة جبال بريطانية. إن المباني الأسترالية العامة، والرمزية الرسمية، بالإضافة إلى خطوط الطيران الوطنية، صناعة الأفلام، فرق الرياضة وغيرهم، يميزون أنفسهم بالاستعارة المتباهية من عناصر ثقافة السكان الأصليين. لأهداف قومية، فمن الصعب رؤية أي بديل آخر لهذه الطريقة المتناقضة في استعادة ثقافة السكان الأصليين والتي هي بالأصل ثقافة متنكر لها. كان التبرير الأيديولوجي للإستيلاء على موارد السكان الأصليين هو "أننا" نستطيع استخدام الأرض بطريقة أفضل منهم، وليس أننا كنا في الأصل سكان هذه الأرض وأننا وحسب نعود إليها. لا نستطيع التخيل مثلا أن تعاد تسمية إحدى ضواحي القدس "كفار شاؤول" بدير ياسين. ولكن، وبالرغم من هذا الفرق الأيديولوجي الجوهري، فإن الصهيونية تحاول وبفشل أحيانا أن تنأى بنفسها عن أصولها الأوروبية مما يذكرنا بالصبغة المتوترة للمستعمرين والتي ميزت الخطاب القومي الأسترالي. فعلى سبيل المثال تم رفض استخدام اليديش بشكل حاسم، لصالح اللغة العبرية- وهي لغة، فوق ذلك متأثرة بلهجة اليهود اليمنيين، ميزارحيم، الذين يعتبرون موضع سخرية. وفي موضع مشابه، وكما علق مارك ليفين، فعلى الرغم من أن تحديث مدينة يافا العربية سعى إلى المحافظة على هوية المكان "في الحقيقة كان على يافا أن تُجرد من ماضيها العربي وسكانها العرب من أجل أن يقوم المهندسون المعماريون بإعادة تصور المنطقة "كنموذج لمدينة شرق أوسطية".(12)

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

من الناحية الإيجابية فإن الكولونيالية الاستعمارية لا تحل مكان المجتمع الأصلي ببساطة. بل إن عملية الإحلال تحافظ على بصمة غير قابلة للإندثار للسكان الأصليين، البصمة نفسها التي يستخدمها السكان الأصليين لإثبات شرعيتهم. لا تقتصر هذه الظاهرة فقط على العالم الرمزي. ففي الحالة الصهيونية على سبيل المثال، وكما أشار غيرشون شافير بلباقة، فقد نبع جوهر عقيدة "غزو العمل" والتي أنتجت الكيبوتسيم وهيستدروت، المؤسسات المركزية في دولة اسرائيل، من المواجهة المحلية مع العرب الفلسطينيين، وبشكل يختلف تماما عن المبادئ الأصلية لعمليات تعزيز الإنتاجية كما تمت صياغتها في أوروبا. استحدث مفهوم "تعزيز الإنتاجية" كردة فعل على كره الذات الذي شجعته الإقصاءات التعسفية من الصناعات الإنتاجية بين يهود أوروبا الشرقية (بهذا المعنى، وكما لاحظه شافير بدقة، فإن الصهيونية عكست، العداء للسامية من قبل المضطهدين).(13) في شكله الذي نبع داخل أوروبا، لم تهدف مبادرات "تعزيز الإنتاجية" إضعاف أي شخص آخر. بل صممت لتنمية انتاجية تهدف إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي لدى الجماعات اليهودية التي عُزلت في وظائف مدينية (وعلى الأغلب مالية)، وظائف وصمت من قبل الجماعات المجاورة اللايهودية بأنها طفيلية- وهو إجحاف تبناه من سعوا إلى بناء "اليهودي الجديد" بنفس الدرجة التي رفضوا إدخاله. تحولت هذه العقيدة عقب استيرادها إلى فلسطين إلى أداة للصراع الإثني، حيث تم إعاقة الصناعات اليهودية بشكل فعال من توظيف يد عاملة غير يهودية، على الرغم من أن العرب كان يعملون بأجور أقل، وفي حالات كثير، بفعالية أكبر.

إن"العمالة اليهودية" أو "غزو العمل" ....ولدت من الظروف الفلسطينية، ودعت للنضال ضد العمال الفلسطينيين العرب. هذا الفرق الجوهري يوضح اللبس الذي يخلق من الإشارة إلى "العمالة اليهودية" خلال حركة تعزيز الإنتاجية، وبالتالي تصنيفه زمنيا كتوجه نبع بشكل خطي من أصول أوروبية شرقية.(14)

كونه مفهوما تطور على أرضية كولونيالية، فقد قام "غزو العمل" بإخضاع الفعالية الاقتصادية لصالح متطلبات بناء جماعة يهودية تأسيسية ومكتفية ذاتيا في فلسطين (يشوف)، وذلك على حساب الجماعات العربية المجاورة. أنتج هذا النضال الموضع اليهودي الجديد، كموضوع العمل الذي يغزوه. وحسب تعبير المهندس العمراني الصهيوني يوليس بوستير وهو يستشهد بأغنية فولكلورية، " لقد قدمنا إلى هذا الأرض لنبني، ولنُبنى من جديد عليها.. إن خلق اليهودي الجديد.....{هو أيضا} الخالق لهذا اليهودي".(15) كان "غزو العمل" مركزيا لكل من التخيل المؤسساتي لمنطقة خالية من الأغيار، وللوصم المستمر لليهود الذين لم ينعتقوا وفضلوا البقاء في المنفى. إن القوى الإيجابية التي حركت الشعب اليهودي وأفراده من اليهود الجدد، نبعت من العملية السلبية المنطوية على إقصاء الملاك الأصليين لفلسطين.

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

وبالمختصر، فإن المحو/الإلغاء يشير إلى ما هو أبعد من تصفية السكان الأصليين للأرض، دون أن ننفي أنه يشمل ذلك. من الجانب الإيجابي، فإن منطق المحو/الإلغاء يشكل علامة عودة، حيث يستمر الساكن الأصلي المضطهد في تشكيل بنية المجتمع الكولونيالي الاستيطاني. ولأن الكولونيالية الاستيطانية تشكيل مجتمعي معقد بالقدر نفسه الذي هي فيه عبارة عن حركة مستمرة في الزمن، فإنني سأسميها اصطلاحا، بنية وليس حدثا، وعلى هذه القاعدة سأبدأ في دراسة علاقتها بالإبادة الجماعية.

***

لنبدأ من الأعلى، مع الملوك الأوروبيين الذين ادعوا بأحقيتهم بالأراضي التي يسكنها غير المسيحيين (يُطلق عليهم في حالات أخرى متقدمة أكثر علمانية، غير المتحضرين) في أنحاء العالم: استُمِدت التبريرات لهذه الادعاءات من حقول الدراسات البحثية الإشكالية والمثيرة للجدل، والتي منحتها الغزوات الأوروبية في الأمريكيتين دفعة قوية، وهي تسمى بشكل مغلوط قانون الاكتشاف.(16) على الرغم من أن الاكتشافات ارتبطت بشكل بديهي بتقليص كبير لاستحقاقات السكان الأصليين، فإن الخطاب تناول بشكل رئيسي العلاقات بين الحكام الأوروبيين وليس بين الأوروبيين والسكان الأصليين.(17) فصممت حينها العديد من الصيغ النظرية التنافسية لكبح جماح الدورات اللانهائية للحروب والتي كان الحكام الأوروبيين ينزلقون فيها بسهولة للتنافس على التوسع في الأراض. وبهذا فإن الحقوق التي منحت للسكان الاصليين كانت تعكس موازين القوى الأوروبية في أي بقعة كولونيالية استيطانية. على سبيل المثال، في استراليا حيث لم تكن السيطرة البريطانية مُهدَدَة من قبل القوى الأوروبية الأخرى، لم يُمنح السكان الأصليين أي حقوق بالنسبة لأراضيهم، وظهرت أشكال مختلفة حول ثيمة *الأرض الخالية* كانت تؤخذ بشكل مفروغ منه في ثقافة المستعمِر. بالمقابل وبشكل مثير للتناقض فقد أُبرمت في أمريكا الشمالية معاهدات بين الهنود الحمر والأوروبيين تقوم على سيادة عكست قدرة الهنود الحمر على تشكيل شبكة تحالفات محلية مع كل من القوى الإسبانية، البريطانية الفرنسية، الهولندية، السويدية والروسية المتنافسة.(18) وبرغم ذلك، فحتي في الأماكن التي اعتُرف فيها بسيادة السكان الأصليين، ظلت السلطة المطلقة على تلك المنطقة ملازمة للقوة الأوروبية التي باسمها تم "اكتشافها". برغم التنوع الهائل بين منظري الاكتشاف، فإن الجميع يتفق على الفرق الواضح بين السلطة/السيادة الملازمة للقوى الأوروبية فقط، وحق السكان الأصليين في الإشغال، الذي يعبر عنه أيضا بحق التملك أو الانتفاع، بحيث يُسمح للسكان الأصليين بالاستخدام البراغماتي(الصيد وليس الزراعة)(19) لمنطقة قام الأوروبيون باكتشافها. يوضح هذا التمييز بين السلطة/السيادة وبين حق الاستعمال/الإشغال اعتماد المشروع الكولونيالي على إلغاء مجتمعات السكان الأصليين.

من خلال كونه الأوروبي الأول الذي يزور منطقة معينة ويطالب بها، يكتسب المكتشف باسم حاكمه و*مقابل* الأوروبيين الآخرين الذين جاءوا بعده الحق بشراء الأرض من السكان الأصليين. هذا الحق والذي يسمى أيضا

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

بالشفعة، منح القوى المكتشفة (وخلفائها في حالة الولايات المتحدة) سلطة مطلقة على المعاملات الخاصة بالأراضي مع السكان الأصليين، الذين يمنعوا من التصرف بأراضيهم مع أي قوة أوروبية أخرى. ظاهريا، يبدو أن ذلك لا يشكل سوى تهديد ضئيل للأشخاص الذين لم يرغبوا بالتنازل عن أراضيهم لأي كان. وبالفعل فقد وفر قدرا ضئيلا من التسامح القضائي مع السيادة الهندية.(20) أما في الواقع، فإن النتيجة المتوقعة لم تُطبق. فقد سمحت الشفاعة بالأولوية الأوروبية، لكنها لم تتضمن حرية الاختيار بالنسبة للهنود الحمر. وكما لاحظ هارفي روسينثال في امتداد هذه المفهوم إلى البيئة الدستورية الأمريكية، " فإن حق الأمريكي في البيع دائما يبُطل/يعلو حق الهندي بأن لا يبيع".(21) إن آليات هذه الأولوية حساسة جدا. فلماذا قد تقرر أمة ذات هيمنة ظاهرة، قاطنة في أراض حصلت عليها من خلال المعاهدات، بأنها مستعدة بعد كل ذلك، بالتنازل عن أراضي أبائهم؟ في أغلب الأوقات(وبشكل مستمر حتى فترة الحروب مع الهنود سكان السهول، والتي لم تقع إلا بعد الحرب الأهلية) فإن الوكالة التي قلصت الهنود الحمر لذلك التحقير، لم تكن فرعا تابعا للدولة، بل كتلة غير منتظمة من الغزاة المدفوعين بجشع فائق، لم تكن لديهم أي نية بجعل أعراف القانون الإقطاعي تقف في طريق حصولهم على الثروات في، تحت، وعلى تربة الهنود الحمر.(22) ولكن في حال كانت الحكومة نظريا قد وقفت بمعزل عن هذه التصرفات الملوثة للسمعة، إلا أنها لم تكن أبدا بعيدة عنها. بهذا الصدد، لنأخذ بعين الاعتبار على سبيل المثال، التآمر بين القوات المسلحة بالحراب والجماعات الخارجة عن القانون خلال الأحداث التي استبقت مباشرة الكارثة التي حلت بالشيروكي الشرقيين (درب الدموع) واحدة من عدة عمليات تهجير وجدت لها مثيلات أخرى خلال 1830، حيث تعرض الهنود الحمر في الجنوب الشرقي للإبعاد إلى غرب الميسيسبي من أجل تمهيد الطريق لتطوير اقتصاد الزراعة المعتمدة على العبودية في عمق الجنوب:

جفلت العائلات وقت العشاء حين فوجئت بلمعان الحراب على أبواب منازلهم، ليجروا لاحقا بالضرب وحلف اليمين، ويقطعوا أميالا في رحلة مرهقة إلى الحظائر(حيث احتُجزوا قبل حدث التهجير نفسه). قبض على الرجال في حقولهم أو وهم على الدرب، وأخذت النساء من تجمعاتهم، والأطفال من أماكن لعبهم، وفي حالات كثيرة، حين استداروا لإلقاء نظرة أخيرة وهم يعبرون الجسر، شاهدوا منازلهم وهي تأكلها النيران، بعد أن قامت مجموعات الرعاع التي تبعت الجنود للنهب والاستيلاء بإشعالها، كان سعار تلك الجماعات قويا لدرجة أنهم كانوا يقومون أحيانا بإخراج الماشية والمخزونات قبل أن يدفع الجنود بأصحابها في الاتجاه الآخر. إلى جانب ذلك، وقع نهب منظم من قبلهم للقبور الهندية، فسرقوا الحلى الفضية والأدوات القيمة الأخرى المدفونة مع الموتى. أحد المتطوعين من جورجيا والذي أصبح لاحقا ضابطا في الخدمة التحالفية قال " لقد قاتلت خلال الحرب الأهلية وشهدت الآلاف من الرجال يقتلون ويتناثرون إلى شظايا، إلا أن ترحيل الشيروكي هو من أقسى الأحداث التي عرفته".(23)

بالرجوع إلى هذه الفقرة فقط، فإن تعقيد بنية الاستعمار الاستيطاني تحمل إمكانية فرز أعداد لا نهائية من التحليلات. ينعكس أحد الأبعاد العالمية لسعار الاستيلاء على أراض السكان الأصليين في واقع أن الجماعات الخارجة عن القانون، كمهاجرين اقتصاديين، جاءوا من الطبقات الأوروبية غير المتملكة للأراضي. لم تُخرج الماشية والمخازن

فقط من أراض الهنود الحمر، لكنها كانت تدخل في حيز الملكية الخاصة. بعد أن يتم اخلائها، تمتزج أراض الهنود الحمر باليد العاملة السوداء لإنتاج القطن، والذي يعتبر ذهب الجنوب الأبيض. ولهذه الغاية، تداخلت تجارة العبيد العالمية والقيادات العليا في النظام الحكومي الرسمي عبر ثلاث قارات مع الحشود المرتحلة الناهبة والمخلة بالنظام، والتي قد تكون أو قد لا تكون "غير قانونية" إلا أنها كانت مصنفة كجماعات بيضاء. وفوق ذلك، فإن شهيتهم المجحفة لأي قيمة ممكن أن تستخرج من أراضي الشيروكي، سوغت لناهبي القبور العنصريين عدم الإكتفاء فقط بسرقة الحلى. وبهذا فإن علم الجماجم المزدهر في ذلك الوقت، والذي في الفترة ما بعد القرن الثامن عشر، استخدم كغطاء شرعي لإدعاء الفوقية العرقية التي أعطت الحق للأبيض بالاستيلاء على أراض الشعوب الأخرى، جعل من جماجم قبائل الشيروكي بضاعة تسويقية لا يمكن إغفالها.(24) في أبعاده المتعددة الطبقات بشكل لا نهائي، لم يكن هناك موضوع مفرد في هذا الاستئصال المحزن، والذي شاركت فيها الحداثة بكاملها.

بدلا من أن تأخذ موقعا منفصلا باتجاه معاكس للدولة الكولونيالية، فإن العنف الدموي الذي تمارسه الجماعات الخارجة عن القانون على الحدود يمثل وسيلة الدولة الكولونيالية الرئيسية للتوسع. لقد حدث ذلك "خلف شاشة الحدود، في الصحوة حيث ما إن استقر الغبار حتى تم تنظيم الوقائع اللانظامية التي حدثت، وتوسعت حدود مستوطنات السكان البيض. على نحو مميز، فقد عبر المسؤولون عن ندمهم حول الأحداث اللاقانونية التي وقعت، في الوقت نفسه الذي يسلمون بحتميتها.(25) تحت هذا الضوء، فنحن في موقع يسمح لنا بفهم نظرية الاستكشاف بشكل أكثر وضوحا. بفهمها كأنها تأكيد على حق الهنود الحمر، فإن الفاصل ما بين السيادة والإشغال يصبح غير منسجم بفهمها كصيرورة، كمرحلة في عملية تشكيل الدولة الاستعمارية الاستيطانية (بشكل خاص، كالمرحلة التي تربط ما بين النظرية وتحقق الاستيلاء على الأراضي)، فإن التمايز متماسك جدا. وكما نلاحظ فإن الشفاعة عنت بأنه يمكن للسكان الأصليين أن يقوموا بنقل حقهم في الإشغال إلى القوى المكتشفة ولا أحد آخر. لم يكونوا قادرين على نقل السيادة لأنها ببساطة لم تكن ملكهم، لقد كان هذا ملازما للقوى الأوروبية منذ لحظة اكتشافها للبلاد. إن السيادة من دون الغزو تؤسس للمرحلة النظرية (أو غير المكتملة) من السيادة الإقليمية.(26) وبكلمات الزعيم الأمريكي جون مارشال، فهو يظل منتظرا "التحقق من خلال التملك"(27) هذه الكلمة المصاغة بدقة "التحقيق" هي بدقة ما كانت تحققه الجموع الخارجة عن القانون في الشيروكي، نيو إيكوا عام 1838. بكلمات أخرى، فإن حق الإشغال لم يكن تأكيدا على حقوق الهنود الحمر، بل اعترافا براجماتيا بالفصل القاتل الذي سينتصب ما بين غرور الاكتشافات، وذلك حين عزا الملاحون الأوائل السيطرة الأوروبية على قارات بكاملها إلى أشجار أو شواطئ مهجورة وخالية، وبين التحقيق العملي لهذا الغرور في التأمين النهائي للاستيطان الأوروبي، والذي حقق بشكل رسمي من خلال التخلص من حق السكان الأصليين. وبالتالي فإنه ليس من المفاجئ أن حق السكان الأصليين لم يكن مشددا عليه بأكثر من الصيغة التي ردد فيها القاضي أولني معادلة مارشال، إلا أن نسخة القرن الواحد والعشرين من

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

"التحقق" كما عبر عنها أولني هي "مسار التاريخ"، والتي وفرت الذريعة لحكمه الفاضح في قضية *اليورتا* *يورتا*.(28) وكما نلاحظ فإن منطق الإلغاء لا زال مستمرا في الحاضر.

يمثل مسار التاريخ، الواقع الذي لا مناص منه، بحيث يسخر البعد اللبق الدبلوماسي لقوانين الأمم والنهب المستقل للجماعات الخارجة عن القانون في مشروع موحد يقوم على توريط كل من الفرد والدولة، ما هو رسمي وغير رسمي بنفس الدرجة. داخل الخط الأخضر، فإن، *أماتة*، حرس التوسع الاستيطاني التابعة لحركة غوش إمينيم المتطرقة تتسارع بنفس الوتيرة مع ترسيخ حقائقها على الأرض. في هذا الصدد، فإن المستوطنين يحافظون على استراتيجية صهيونية مجربة وممتحنة- فقد أُعطت حملة إسرائيل عام 1949 للإستيلاء على النقب قبل الهدنة الوشيكة اسما عبريا رمزيا أوفدا، أي "حقيقة".(29) وفي رثائه للدولة التي تطوع يوما للدفاع عنها، يقول بيرنارد آفيشاي، " لقد تم الشروع ببناء المستوطنات بدون أي جهد في المناطق خارج الخط الأخضر بعد 1967 لأن المؤسسات الصهيونية التي بنتهم والقوانين التي قادتهم قد أصبحت مشبعة داخل الخط الأخضر قبل 1967. إن التركيز فقط على مستوطني الضفة الغربية يثير دائما هذا السؤال.(30) في النهاية، إذن، إن الاستعمارية الاستيطانية هي مشروع حصري يتمحور حول الأرض، يقوم بتنسيق مدى واسع من الوكالات، تبدأ بمركزية العاصمة إلى الحدود المعسكرة، وتحت رؤية تقوم على إستئصال السكان الأصليين. وبهذا فإن عملياته لا تعتمد على غياب أو توافر مؤسسات الدولة الرسمية وموظفينها. بالتالي- وللبدء في التوجه نحو قضية الإبادة الجماعية- فإن الحالات التي قد يحصل فيها أو الدرجة التي تدفع بالاستيطانية الاستعمارية لتبني خيار الإبادة الجماعية لا يرتبط بغياب أو حضور المنظومة الرسمية للدولة.

***

وعلى الرغم من أن المسألة بكل وضوح، كما تناقش إيزابيل هال، تتعلق بحقيقة أن سرعة، ومقياس وحدة أشكال معينة من الإبادة الجماعية الحديثة تطلبت القدرات التكنولوجية، اللوجستية والإدارية ذات الطابع المركزي للدولة الحديثة(31)، فهذا لا يعني بأنه يجب التعامل مع خطاب الاستعمار الاستيطاني كخطاب سابق ل(أو أقل) حداثة. بالمقابل فإن عددا من المفكرين، - ومنهم ديبوي، حنة أريندت، آيمي سيسار- جادلوا، بأنه تم استحداث بعض الملامح الجوهرية للحداثة في المستعمرات.(32) من المعروف بأن الهولوكوست حشد المكونات الأدواتية، التكونولوجية، والبيروقراطية للحداثة الغربية. فبالرغم من الزخم التأريخي الذي كُرس للهولوكوست، فإن "علم الجينيولوجيا" يظل معينا لا ينضب بالنسبة للمرؤخين. من هنا وصلُنا بأن العناصر التاريخية شملت المقصلة، بالإضافة إلى النطاق الصناعي في التعامل مع الأجساد البشرية والذي أُخذ عن الآليات التي كانت متبعة في حظائر الماشية في شيكاغو.(33) وبرغم ذلك فإن الصورة المتداولة التي أنتجها الهولوكست لفنيي الإبادة الجماعية ذو الدم البارد لا تعبر عن كل ما حصل. فقد أشار كل من ديتر بول، يورغن زيمرر وآخرون إلى أن عددا لا بأس به من

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

ضحايا النازيين ومن ضمنهم اليهود والغجر (سيني وروم)، لم يقتلوا في معسكرات الاعتقال، بل ضمن نوبات اطلاق نار ذات طابع بهيج لدرجة مختلة، تُذكر بالممارسات الإسبانية في القرن السادي عشر في الأمريكيتين أكثر مما تستوحي من النموذج الصناعي الفوردي. بينما جوع أيضا الملايين من المدنيين السلاف والجنود السوفياتيين حتى الموت في ظروف مماثلة لتلك التي حصلت مع البنغاليين في نهاية القرن الثامن عشر أو الإيرلنديين في حوالي منتصف القرن التاسع عشر.(34) لا يعني هذا أن علينا أن نقسم الهولوكوست إلى قسمين أحدهما حداثي والآخر بدائي، بل هذا يؤكد على الطابع الحداثي للاستعمار.

شكل الاستعمار الاستيطاني قاعدة للحداثة. فدعوات الأفراد الذين يقطنون على الحدود إلى الحماية من قبل الدولة تقترح قاسما مشتركا بين العالم الخاص والرسمي. في معظم الحالات (تشكل كوينزلاند حالة استثنائية) فإنها كانت تفترض مسبقا حلقة عالمية من تسلسل الأوامر ربطت الحدود الاستعمارية البعيدة بالعاصمة.(35) يقبع خلف كل هذا المحرك الدافع المتمثل في قوى السوق العالمية، والتي وصلت ما بين الصوف الاسترالي، الطواحين في يوركشاير وبشكل مكمل بزراعة القطن الذي ينتج تحت ظروف استعمارية مختلفة في الهند، مصر والولايات الاستعبادية في أقصى جنوب أمريكا. وكما لاحظ كول هاريس فيما يخص طرد الهنود الحمر في كولومبيا التابعة لبريطانيا، "حين تجمع غاية رأس المال في توفير إمكانية منتظمة للحصول على الأرض، ومصلحة المستعمر في الأرض كموضع رزق فإنك تجد بالصدارة القوى الدافعة الرئيسية للاستعمار الاستيطاني".(36) إن الثورة الصناعية التي تصور في الوعي الشعبي بشكل خاطئ كظاهرة ناشئة بشكل أصيل في المدن، احتاجت إلى أراض وأيد عاملة مستعمَرة لإنتاج المواد الخام بنفس المركزية التي احتاجت فيها إلى المصانع الحضرية وأيد عاملة صناعية للعملية اللاحقة، ذلك كله بالإضافة إلى أن المستعمرات احتيجت أيضا كأسواق. إن السكان الأصليين الذين سلبت أراضيهم، الأفارقة الأمريكان المستعبدين، أو الآسيويين العاملين بالسخرة هم كائنات حداثية بشكل كامل كما هو عامل المصنع، الموظف، وجوال بودلير في المراكز المدينية. إن واقع أن العبد هو قيد الأغلال لا يعني أنه من العصور الوسطى. وبالاعتماد على ذلك فإن حقيقة أن الهوتوس في رواندا استخدموا أدواتا زراعية ليقتلوا جيرانهم التوتسي بشكل جماعي لا يرخص الافتراض العنصري بأنه كان حمام دم بدائي (وحشي) لغياب أي طرف أوروبي من الموضوع، ولعدم استخدام أسلحة متطورة. إن رواندا وبوروندي نتاجان كولونياليان- ليس فقط بما يخص العامل الواضح المتعلق بحدودهما الجغرافية، ولكن أيضا بشكل أكثر توغلا، بما يتعلق بالحدود العرقية التي أكدت وأعادت إنتاج التقسيم هوتو/توتسي. وكما لاحظ روبيرت ميلسون في تلخيصه الثانوي الثاقب لما حصل " إن الإبادة الجماعية التي حصلت في رواندا هي نتاج الحالة المابعد كولونيالية، أيديولوجيا عنصرية، ثورة تدعي الشرعية الديموقراطية، والحرب- وجميعهم تعبيرات عن العالم الحديث.(37) إن التقسيم العرقي المتبادل من قبل الطرفين هوتو/توتسي، والذي على أرضيته قامت هذه الأيديولوجية المابعد كولونيالية كان نفسه مكيدة كولونيالية.

وبالاستناد للنموذج الفوكوي الكلاسيكي، فإن الأسياد الألمان والبلجيك الذين تلو بعضهم البعض في رواندا الحديثة، فرضوا شبكة عرقية على النظام الاجتماعي الأصلي المعقد، مستميلين الأرستقراطية الريفية المكونة من التوتسي كنخبة كومبرادورية تتولى زمام المصالح الأوروبية وتسهل استغلالهم لقبائل الهوتو الزراعية والتوتسي الأقل مرتبة. استحدث هذا التفريق العنصري من قبل الإداريين والأنثروبولوجيين البلجيك الدين ادعوا- فيما عرف لاحقا باسم نظرية لعنة حام- بأن التوتسي كانوا في الأصل فاتحين تعود أصولهم لإثيوبيا(الأقرب لأوروبا!) وأن الهوتو عبارة عن قبيلة تم غزوها وهي بمنزلة أدنى لأصولها المحلية".(38) أشباه للفرانكيين والغوليين. بغرس هذا الخطاب العنصري في أذهانهم، أصبح الروانديين حداثيين بشكل متكامل. حتى المعاول الفاضحة التي استخدمها بعض الهوتو في قتل مواطنيهم التوتسي رمزت إلى الزراعة التي لم تغلف فقط ما يفرقهم عن ضحاياهم، بل كانت هذه المعاول هي الأدوات التي رمزت لانخراط الهوتوس بالسوق العالمي.

***

لوحدها، لا تستطيع الحداثة أن تفسر ديناميكية هذا النهم الذي لا يُشبع بحيث يحتاج الاستعمار الاستيطاني دوما إلى المزيد من الأراضي. إن الأجابة التي تخطر بسهولة هي الزراعة، على الرغم من أنها ليست السبب الوحيد. فإن النطاق الواسع للقطاعات الرئيسية من الممكن أن تحفز المشروع. بالإضافة إلى الزراعة، بالتالي، علينا أن نفكر بالحراجة، صيد السمك، الرعي، واستخراج المعادن(إن القشة التي قصمت ظهر البعير فيما يخص الشيروكي هي اكتشاف الذهب في أراضيهم). باستثناء الزراعة (وللبعض الرعي) لا تعتبر أي من هذه القطاعات كافية لوحدها، فأنت لا تستطيع أن تأكل الخشب أو الذهب، صيد السمك لسد حاجة العالم يتطلب مصانع التعليب. وفوق كل هذا فإن عمال المناجم عاجلا أو آجلا سينتقلون، بينما قد ينضب السمك والغابات وستكون هناك حاجة لاستزراعهم. لا تدعم الزراعة فقط القطاعات الأخرى، فهي بطبيعتها مستقرة وبالتالي ثابتة. على عكس الصناعات المعتمدة على استخراج المواد من باطن الأرض والتي تعتمد على ما يصدف أن يوجد هناك، فإن الزراعة مبنية على حسابات من البداية للنهاية موجهة لكي تكفل إعادة إنتاج نفسها(ولهذا ينبع رعب المزارع من أن يقلص إلى مجرد آكل للبذور وبالتالي تدنيه لمنزلة الحيوان). فوق ذلك، وكما أشار إليه جون لوك دون أن يكل من تكرار ذلك، فإن الزراعة تدعم جماعات بشرية أكبر من تلك التي تدعمها نماذج الإنتاج غير المستقرة.(39) وبالعودة للاستعمار الاستيطاني فإن هذا يسمح للشعب بأن يتزايد من خلال الهجرة المستمرة على حساب أراض السكان الأصليين ومواطن رزقهم. إن الظلم، التناقضات، والمذابح التي تقع في المجتمعات القاطنة في المدن المركزية تضمن توافدا دوريا للمهاجرين الجدد- وبالأخص كما ذُكر سابقا القادمون من طبقات غير متملكة. وبهذه الطريقات فإن المحفزات الفردية تتداخل مع الضرورة الحتمية للسوق العالمي في التوسع. من خلال توسعها المستمر، فإن الزراعة(وهي تشمل، لهذا الهدف، الرعوية التجارية) تستولي بشكل متزايد على أراض السكان الأصليين، تراكم بدائي يحول النبات والحيوان على أرض السكان الأصليين إلى مصدر يتضاءل ليبتر إعادة إنتاج أساليب السكان الأصليين في الإنتاج. وبالنسبة للسكان

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

الأصليين فهم إما يصبحون معتمدين على الإقتصاد الذي تم استدخاله، أو مغيرين على المحصول، وهو عادة ما يستخدم كذيعة تقليدية للمذابح الجماعية التي ارتكبها الاستعمار.

لا يعني أيا من هذا أن السكان الأصليين هم في جوهرهم مجتمعات غير زراعية. سواء كانوا أو لم يكونوا يمارسون الزراعة، في جميع الأحوال (وكما في حالة الهنود الذين علموا البيض كيفية زراعة الذرة والتبغ)، فإن السكان الأصليين يصورون عادة في الخطاب الاستعماري الاستيطاني كمجتمعات غير مستقرة، مرتحلة، ولا تملك جذورا في المكان إلخ. بالإضافة إلى مركزيتها الموضوعية الاقتصادية في المشروع، فإن الزراعة وبعلاقتها الوثيقة بالأرض، تعتبر رمزا فاعلا في الهوية الاستعمارية الاستيطانية. ولهذا فإن الخطاب الاستعماري الاستيطاني يقف دائما بشكل حازم متمنعا اتجاه التناقضات الساطعة، مثل السكان الأصليين المستقرين، أو حقيقة أن المستوطنين أنفسهم هم من جاءوا من مكان آخر. ولهذا يتضح مغزى أن صورة اليهودي المؤنثة والمرتبطة بالمعاملات المالية (أو، وفي تلك الحالة، اليهودي الرحال) والتي كانت موضوع أجواء معاداة السامية الأوروبية، ستستبدل بهوية عدوانية ذكورية زراعية قابلة للتماثل معها في فلسطين.(40) إن الآخر المُشكل لليهودي الجديد هو البدوي الرحال، وليس المزارع الفلاح. إن البداوة تجعل من السكان الأصليين قابلين للإستئصال. وفوق ذلك، فإذا لم يكن السكان الأصليين بدوا/رحالة من البداية، فإنه من الممكن تحويل هذه المقولة إلى ما يشبه نبوءة مرضية للذات من خلال حرق الحبوب واقتلاع أشجار الفاكهة.

ولكن إذا كان السكان الأصليين مزارعين من البداية، لماذا إذن لا يتم إدماج إنتاجيتهم في الإقتصاد الاستعماري؟ عند هذه النقطة، فإننا نبدأ بالاقتراب من السؤال الذي يتلخص بمن هو(أو، بشكل أقرب للنقطة، من هم) أولئك الذين يسعى الاستعمار الاستيطاني إلى محوهم- وبالتالي، نصبح أكثر قربا لفهم العلاقة بين الاستعمار الاستيطاني، والإبادة الجماعية. لنبق مع استئصال الشيروكي: فحين يتعلق الموضوع به، فإن العنصر الذي أثار بشكل كبير عداوة حكومة ولاية جورجيا (مع التأييد الضمني لإدارة آندريو جاكسون الفيدرالية) لم يكن ذلك المرتبط بالتهم الموجهة دائما للشيروكي كمتمردين متوحشين، بل أهلية الشيروكي غير المخفية للتحضر. وفي الحقيقة فإن الشيروكي بالإضافة إلى جيرانهم الكريك، الشوكتاو، شيكاساو والسيمينول، الذين أيضا استهدفوا في الاستئصال، كانوا دائما ما يوصفوا ب "بالقبائل الخمس المتحضرة" في اللغة الأوروبية-الأمريكية. في حالة الشيروكي، فهناك بعدان من تحضرهما كانا بارزان بشكل خاص. لقد أصبحوا وفقا لنموذج الرجل الأبيض، مزارعين ناجحين، بينما تملك البعض عدد لا بأس به من العبيد السود، بالإضافة لذلك فقد قاموا بادخال دستور وطني مكتوب، حمل أكثر من شبه عابر بدستور الولايات المتحدة.(41) لماذا إذن قد يرغب الجورجيين ذوو الكياسة بالتخلص من هؤلاء الجيران المتحضرين؟ إن السبب وراء إثارة قلق المسؤولين والمشرعين لولاية جورجيا- وهذا ما توثقه طوال الوقت خطاباتهم ومراسلاتهم العامة- هو أن مزارع الشيروكي، ومشاتلهم، والعبيد الذين تملكوهم بالإضافة إلى دستورهم كلها كانت إشارات إلى استقرارهم.(42) لنتذكر أن أول ما فعلته جماعات الرعاع/الكاوبوي هو إحراق منازلهم.

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

وبقدر ما كانت عملية إستئصال القبائل الخمسة المتحضرة عنيفة ودامية، فإن أثرها اختلف من شخص لآخر. لم يتعلق ذلك فقط بثراء الشخص أو مركزه الاجتماعي. الزعيم الشيروكي جون روس على سبيل المثال، لم يفقد فقط مزرعته بعد أن غادر في رحلة درب الدموع. ففي الطريق وفي إحدى الأيام الباردة لدرجة مميتة في ليتل روك- آركانساس، في شباط من عام 1839 فقد زوجته أيضا التي توفت بعد أن آثرت منح غطائها لطفل يتجمد.43 إن حظوظ روس تختلف بشكل حاد عن ما حصل مع زعيم قبيلة الشوكتوا، غرينوود ليفلور، والذي على عكس روس، قام بتوقيع معاهدة ترحيل باسم شعبه، ليبقى وحده ويقبل مواطنة أمريكية ثم ليحالفه الحظ في مهنة متميزة في السياسية في المسيسيبي.(44)

ولكن لم تكن فقط الرتبة العالية لليفلور وراء بقائه، في الحقيقة فلم يكن الوحيد الذي سمح له بالقيام بذلك. وكما علق رونالد ساتز، فقد تفاجئ آندرو جاكسون "بآلاف الشوكتاو الذين قروا بأن يستفيدوا من شروط التوزيع (في المعاهدة التي وقعها ليفلور)، والبقاء كنزلاء ومواطنيين أمريكيين في الميسيسيبي".(45) بالإضافة إلى كونهم زعماء، فقد كان كل من روس وليفلور أبناء لآباء بيض وذوو بشرة فاتحة. كان كل من الإثنين ثريا، متعلما، وذو علاقات جيدة مع المجتمع الأوروبي-الأمريكي. بالمقابل فإن الكثير من مواطني ليفلور الذين بقوا معه لم يكونوا يملكون أي من هذه الميزات. لم يكن هناك أي شيء خاص بين الشوكتوا ليجعلهم مندمجين في المجتمع الأبيض- إذ تم ترحيل معظمهم مثل روس والشيروكيي. إن السبب الذي جعل ما تبقى من الشوكتوا مقبولين لم يكن له أي علاقة بكونهم شوكتاو. بالعكس فقد كان مرتبطا بأنهم *ليسوا* (أو على الأقل لم يعودوا) شوكتوا، لقد "أصبحوا نزلاء ومواطنيين أمريكيين". وبكلمة واحدة فقد أصبحوا أفرادا.

ما ميز روس وبقية الشوكتاو الذين رحلوا من الذين بقوا هو الجمعية.(46) إن الأراضي القبلية كانت مملوكة من قبل القبيلة- إن القبلية والملكية الخاصة لم تختلطا أبدا، ومن الممكن القول بأن الهنود الحمر هم أول الشيوعيين. كنزلاء، وبشكل مفارق، أصبح الشوكتاو الذين بقوا أفرادا متملكين لقطع منفصلة من الأراضي كانت تعود مليكتها في السابق للقبيلة، هذه الأراضي أصبحت ملكية خاصة يستطيعون بيعها لأفراد بيض في حال رغبوا بذلك. بدون القبيلة، ولكل الأسباب البراغماتية، فهم لم يعودوا هنودا (هذا هو الجزء المتعلق بالمواطنة). ما يحدث هنا هو في جوهره محاكاة للمقايضة الفاوستية- "احصل على عالمنا الاستعماري، مقابل التخلي عن روح السكان الأصليين". بدون أي شك، فهذا إلى حدا ما يعادل الموت. ميز المحاكون هذا في مرحلة مبكرة. في الظاهر، لا يتوقع المرء أن يكون هناك ما هو مشترك بين الكابت ريشارد بارت، مؤسس مدرسة كارلايل الداخلة للفتيان الهنود والضوء القادم التابع للجمعية الخيرية "أصدقاء الهنود"، وما بين الجنرال فيل شيريدان صاحب الجملة التي لا تموت، " إن الهندي الجيد الوحيد، هو الهندي الميت". وبالنظر للتدريب على الفرادنية الذي وفره بارت في مدرسته، فإن القبيلة تنمحي مقابل بقاء أفرادها، بحيث يأخذ سيناريو الشوكتاو متغيرا غيبيا. يمنح هذا حلا لقلق المصلحين. ففي إحدى أوراق

مؤتمر الجعيات الخيرية والإصلاح عام 1892 في دينفر أيد برات بشكل واضح مقولة شيريدان ، "ولكن فقط من خلال ذلك: أن على كل ما هو هندي بالعرق أن يقتل. اقتل الهندي داخله وانقذ الرجل.(47)

***

لكن، ما نوعه ذلك الموت المتورط بالمماهاة؟ يجمع مصطلح "الإبادة الجماعية"، على سبيل المثال، الإحساس بالقتل وبالإنسانية. و على حدّ معرفتي؛ عندما يتعلق الأمر بقتل ذاتٍ إنسانية لا بديل غير إنهاءِ مهنتها الجسدية. و مع ذلك، عندما يتم تقديم اوريستيس أمام الهة العقاب لمحاكمته على قتل أمه، كليتمنيسترا والتي قتلها انتقاما لمقتل أبيه أجاممنون، كان قد بُرّأ على أساس أنه، وفق ذاك المجتمع الأبوي، ينتمي لأبيه لا لأمه مما أحال بينه وبين إثبات التهمة عليه.

الآن، ومن دون إقحام هذه الاسطورة بجدية، رغم أنها مع ذلك توضح نقطة مهمة (كما هو مفترض من الأساطير أن تنشده)؛ تغلّبُ اوريستيس على التهمة لا يعني أنه لم يقتل بالفعل كليتمنيسترا. لقد عَنتْ أنه قُدّم أمام المحكمة الخطأ (إذ تعاملت الالهة مع شؤون ضمن-عائلية والتي لا يمكن حلّها وفق ديناميكيات العداء). و بالتالي، من الممكن أنّ اوريستيس لم يكن مذنبا بشأن قتل الأم، لكن لا يعني ذلك بالمقابل أنه كان بريئا. لقد عَنتْ <الأسطورة> أنه ممن الممكن أن يكون مذنبا من بعض أشكال أخرى من القتل اللاقانوني- ذاك الذي بالإمكان التعامل معه بعدائية الدم أو أية عقوبة أخرى (حيث حجته بصدد وجوبية الإنتقام قد أو قد لا تُفلح). و مثلما يُصرّف الفعل بواسطة مفعوله في تلك اللغات، فإن طبيعة القتل القابل لنظر المحكمة يعتمد على ضحيته. هناك ظاهريا فروقات، لنقل، بين الإنتحار، و الإبادات الحشرية، و الوأد. يجمع مصطلح "الإبادة الجماعية" الإحساس بالقتل و بالجماعية على حدٍ سواء. الـ"مجموعة" تفيد أكثر من كونها دلالة رقمية بحتة. بينما تشير الأجناس إلى مجموعات معينة ذات عضوية تدوم عبر الزمن (ترجمها رافييل لامكين بـ"القبيلة"). ليست الأجناس ببساطة جماعية عشوائية (كركاب الحافلة مثلا). وفقا لذلك، ومع الإحترام لروبرت جيلاتلي وبن كيرنان (فيما يتعلق بكلا عنوان مجموعتهم الممتازة، ومراجعهما في ذات السياق عن الحادي عشر من سبتمبر)، يكون الهجوم على برج التجارة العالمي مثالا على القتل الجماعي، ولكن ليس، في نظري، إبادةً جماعية. من المؤكد أن معظم الضحايا كانوا من مواطني الولايات المتحدة، ومع ذلك، وعلى الصعيد الكلّي، لم تكن <الهجمة> جزءا لانهائيا من المجموعة "الأمريكيون" فقط (والتي بصرامة ليست موضع الإهتمام)، بل كانت أيضا حدثا ولمرة واحدة.(48) هذا لا يعني أن جناة الحادي عشر من أيلول ليسوا مذنبين، إنما تعني أن محاكمة الجناة وفق محكمة الإبادة الجماعة هو الخطأ. إذ ليس مَثلُ قتلة الجماهير كمثل الإبادة الجماعية، رغم أنه بإمكان الفعل أن يكون واحدا. لذا تم تنفيذ الإبادة الجماعية بوسائل القتل الجماهيري المختصر (لتوثيق أمثلة استخدمت للتو) في تخوم مذابح الشعوب الأصلانية، في الهولوكوست، و في روندا. لكن بإمكان القتل الجماهيري المختصر أن يحدث دونما إبادة جماعية كما في حالة الحادي عشر من أيلول وبإمكان الإبادة الجماعية أن تحدث

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

دونما قتل جماهيري مختصر كما في حالة التدمير المستمر، الكلي والجزئي، لما بعد-تخوم الاعراق الأصلانية. عرف لامكين ما كان يفعله حينما استخدم مصطلح "القبيلة".(49) كان كلا من ريتشارد برات و فيليب شيريدان ممارسان للإبادة الجماعية. سؤال الدرجة ليس قضية تعريفية.

رغم حيويته، بإمكان النقاش حول التعريف أن يبدو مجردا وبكثافة. في الفقرة التالية جزء مما رسخ في ذهني كان، بشكل واضح، مصطلح (فضله لامكين) "الإبادة الثقافية". السبب الكامن وراء عدم تفضيلي المصطلح هو أنه يسبب تشويشا في المعنى بدرجة ما. علاوة على ذلك، ورغم ما يحمله هذا الإعتراض في حدّ ذاته (أو على ما اعتقد) المجازفات العملية التي من الممكن أن تتلو أول ما يقع مثل هكذا مصطلح في أيدي الفيالق الخطأ. بشكل خاص، وفي خطأ صنافيّة أوليّ، بإمكان "أي/ أو" ان تستبدل بـ"كِلا/ وَ" التي نبتت منها الإبادة الجماعية إمّا كإبادة بيولوجية (تقرأ "الشيء الحقيقي") أو كثقافية- وبالتالي تتبع كلا-حقيقي. في الواقع، ينبغي أن تمر دون القول بأن فرض اجراءات أو تقنيات تم التغاضي عنها كـ"إبادة ثقافية" على شعب ما، متجه حتما نحو تأثير مباشر على قابلية الشعب للعيش (بعيدا عن اللابؤس النوعي عنما يفعلون ذلك). في ذروة برنامج المماهاة من حقبة داويس، على سبيل المثال، في العقد بعدما خطّ ريتشارد برات ورقته دينفر، ضربت الأعداد الهندية المستوى الأدنى التي لم تسجلها من قبل.(50) و حتى في الحياة المعاصرة، اللقب ما بعد الأصلاني استراليا يتشبث توقع حياة السكان الأصليين بمستوى يقارب الـ 25% تحت ذاك الذي يتمتع به التيار السائد في المجتمع، و بنسب موت الرُضع الجماعي التي هي اسوأ.(51) أيّ ضرب من السفسطائية يتم تداوله لفصل ربع "جزء" من حياة مجموعة من تاريخ محوهم؟

يتضح أننا لا نتحدث هنا عن حدث معزول. لذا يمكننا الإنعطاف عن عقدة الاستعمار الإستيطاني البنيوية نحو إيجابيتها كمبدأ بنائيّ للمجتمع الإستعماري الغستيطاني عبر التاريخ.

استلزمت قافلة دموع الشيروكي، والتي وقعت خلال شتاء العام 1837-1839، شراء لويزيانا عام 1803، عندما كان توماس جيفرسون قد اشترى ما قرابته ثلث قارة الولايات المتحدة الحاضرة اليوم بسعر مشجع من نابيليون.(52) وزودت أكبر صفقة عقارية في التاريخ أرضي غرب اقليم ولاية مسيسبي للحكومات المتعاقبة التي قامت بمبادلتها بأوطان القبائل الشرقية الذين رُكّعوا من أجل الإقتلاع. و لأسباب عديدة كانت هذه الإقتلاعات، والتي حولت القبائل الشرقية إلى وكلاء غزاة مناطق انديانا عبر المسيسبي، شكل المحو الخام وغير المُرضِ. بشكل خاص كانت الإقتلاعات مؤقتة، وكانت فقط مسألة وقت قبل ما يوقعوهم الجماعات الحدودية تحت قبضتهم.(53) عندما حصل ذلك، كما لاحظت باستسلام آني أبل في خاتمة جردتها الكلاسيكية للإقتلاعات، "أثبتت الألقاب المعطاة في الغرب أنها أقل جوهرية من تلك المعطاة في الشرق، وذلك لأنها تفتقد لأسس ضاربة في القدم."(54) القلع المتكرر، الاستئصال من الحجز، منح ذات الأرض لقبائل مختلفة، كلها مورست ضد خلفية ضغط لا منتهي من أجل الحصول على معاهدات جديدة أو منقحة، كانت أعراض وقتية ممارسة الإقتلاع، الأمر الذي حفظ الوقت لصالح سير الأمة

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

غربا. ومع ذلك، في النهاية امتلئت التخوم الغربية بالعائدين من المحيط الهاديء، ولم يتبقى من متسع للمقتلعين. لقد أصبحت التخوم ذات حدود مشتركة مع أراض الحجز. عند هذه النقطة، عندما تراجعت تقنيات الإقتلاع الخام لصالح مجموعة من استراتيجيات ادماج/ تماهي الشعب الهندي الذي تم احتواؤه الآن في المجتمع الأوروبي-أمريكي، باستطاعتنا بوضوح أكثر أن نرى منطق أيجابية الإزالة كميزة مستمرة للمجتمع الأوروبي-أمريكي الإستيطاني.

مع انمحاء التخوم، توجهت الإزالة نحو الداخل قاصدة اختراق السطح القبائلي متجهة نحو الهندي الفرد القابع تحتها، والذي تم اختياره بالإجماع خارج القبيلة، والتي سوف تنتدمج تبعا لذلك بالمجتمع الأبيض. عممت حالة الـ"جريينود لفلور" على جميع الهنود. وكان أول تعبير جذري لهذه النقلة إنهاء عملية الصلح والتي حدثت حوالي عام 1871.(55) عبر العقود الثلاثة التالية، التمست وبقسوة تشريعات دمجية مصحوبة بأحكام المحكمة العليا الوحشية والتي نظريا فككت الهيمنة القبلية وعملت على إنهاء الإتفاقيات الموجودة،(56) هدم القبيلة وامتصاصها، بشكل مجزء، لصالح الهنود الأفراد وأراضيهم القبلية داخل المجتمع الأبيض. لقد نعت جون فاندر هذه السياسة بـ "الكولونيالية الجديدة"، وهي تشكيلة خطابية مبنية على المحميات والمدارس السكنية التي "هاجمت كل نواحي حياة الأميركي الأصلاني- الدين، الكلام، الحريات السياسية، الحريات الإقتصادية، التعددية الثقافية."(57) كانت النقطة المركزية في هذه الحملة هي برنامج التحصيص، و الذي عمم كسياسة هندية في قانون دوس لعام 1887 و تمت تقويته وتمديده حيث قسمت الأراضي القبلية إلى محاصصات فردية تمكن مالكيها أخيرا من بيعها للبيض.(58) وفر هذا البرنامج وبشكل ظاهري تحولا ثقافيا حيث سحر الملكية الخاصة سوف يدفع الهنود من تكاسل المجموع للعضوية القبلية إلى فردانية تقدم الحلم الاميركي. لم تتدنى عمليا اعداد الهنود المسجلة فحسب، بل ادت هذه العملية الثقافية إلى وسيلة أسرع لنقل الأراضي من تلك التي وفرها الجيش الأميركي. منذ منصف القرن ومن عام 1881 تدنت نسبة الأراضي التي امتلكها الهنود في الولايات المتحدة إلى الثلثين لأكثر من 155 مليون دنم إلى أكثر بقليل من 52 مليون.(59) لا داعي للقول أن الصدفة بين الإحصائيات الديموغرافية و ملكية الأراضي لم تكن محضة صدفة. خلال هذه العملية تضمنت تبريرات الإصلاحيين وبشكل متكرر (انقاذ الهندي من القبيلة، إعطاءه نفس الفرص المتاحة أمام الرجل الأبيض، الخ) النية الواضحة لتدمير القبيلة بمجموعها.(60) و بكون أراضيهم موهونة، تم توسيع المواطنة الأميركية في عام 1924 لتشمل كل الهنود. و في عام 1934 هُجرت المحاصصة، في ظل الصفقة الجديدة "قانون اصلاح الهنود"، لصالح سياسة قبول القبيلة نفسها في السياسات الأميركية شريطة أن يعاد كتابة الدستور ليلائم بنيويا البيئة المدنية الأميركية. كانت ميزة نماذج الدساتير التي اقرها سكرتير الداخلية الأميركي للقبائل المسجلة وفق قانون 1934، أنها تلبي متطلبات الدم الكمية، والتي قدمت بالأساس من قبل مفوضية قانون دوس لتحديد أي من أعضاء القبيلة سيكونون مقبلوين للمحاصاصات.(61) في ظل نظام كمية الدم، تدنت، وبشكل تتابعي، هندية الفرد بانسجام مع التفاضل البيولوجي و الذي هو بنية للثقافة الأوروأميركية.(62) لقد نعتت باحثة إخوانينو/ ياكي، أنيت آيمز هذا الإجراء بـ" الإبادة الإحصائية".(63) بالمجمل، أنتج احتواء المجموعات الهندية

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

داخل المجتمع الأوروبي-أميركي الذي بلغ اوجه حتى نهايات التخوم منتجا مدى واسعا من الاستراتيجيات التكميلية المستمرة ذات النية المعللة لتدمير كافة أشكال المجموعات الهندية الهرطقية. في مناخ حريات ما بعد الحرب العالمية الثانية المدنية، عززت هذه الإستراتيجيات بسياسات الإبادة و إعادة الموضعة ذات التأثيرات المركبة والتي نافست كوارث المحاصصة.(64) يكمن الإختلاف الرئيسي بين هذا و عمومية الإبادات غير الكولونيالية في مدتها المساندة

ولأغراض المقارنة، من الجدير بالذكر أن توقيت وصول سياسات المحاكاة/المماهاة إلى حدها الأقصى تزامن مع مع إغلاق التخوم، والذي أحبط حلولا فضائية مؤقتة مثل المحو/الإلغاء. في مجتمعات الدول التي تحيطها اليابسة، مثل بعض المناطق في أوروبا، فإن التخوم تشير إلى الحدود القومية كمقابل المؤشر المتحرك للتوسع. تنطوي حدود اسرائيل على كل من هذين الميزتين. على الرغم من الإدمان الصهيوني على التوسع المكاني، فإن الحدود الإسرائيلية لا تتفادى خيار الإزالة (وفي هذه الحالة، فإنه من المستغرب أن دولة قامت بطرد الكثير من السكان الأصليين إلى الرمال، ستقوم بالتعبير عن خوفها بأن تجر هي نفسها إلى البحر). وكما قام منطق الإلغاء/المحو بأخذ أشكال متعددة في عدة مواقع الكولونيالية الاستيطانية، كذلك في إسرائيل فإن النزعة المستمرة نحو ترحيل الفلسطينيين لم تتوقف فقط على الاستخدام المفرط للقوة. فقد لاحظ كل من باروخ كيميرلنج وجويل ميجدال بأن النظام الإسرائيلي يسمح فقط بلم شمل العائلات "في اتجاه واحد-خارج اسرائيل".(65) إن قانون الهجرة يلزم الدولة اليهودية باستقبال عدد لا محدود من المهاجرين ولكن ذوو هوية أثنية حصرية، ويقوم هذا القانون، بصرف النظر عن شكليات المواطنة، بالعمل بشكل معاكس لسياسات المماهاة/المحاكاة للسكان الأصليين الأغيار. ولهذا علينا أن لا نندفع للقول بأن المماهاة/المحاكاة هو مكون غير متغير ملازم للكولونيالية الاستيطانية. بالعكس، بل بالنظر إليه كأحد أشكال طرق مختلفة من استراتيجيات المحو والتي تستخدم تبعا للظروف التاريخية الخاصة المواتية. فوق ذلك فإن المماهاة/المحاكاة تأتي أيضا في عدة أشكال، على سبيل المثال وبالعودة للسياق الأسترالي، فقد لاحظ العديد من الباحثين بأن الإشارات الجينية والثقافية يعكسان ويكرران بعضهما البعض"(66) وعلى الرغم من أنهما تبدوان أكثر لطفا من اللجوء إلى العنف، إلا أن هذه الاستراتيجيات ليست بالضرورة أقل نزعة نحو المحو/الإلغاء. لنأخذ مثالا من جوهر تعريف الإبادة الجماعية، تشير المادة 2 من ميثاق الأمم المتحدة حول الإبادة الجماعية، والتي كما يبدو فقد تعرضت للتجاهل داخل حلبات النقاش الأسترالية، إلى أن أحد الأفعال التي تؤسس للإبادة الجماعية (بالإفتراض إلى أن هذه الأفعال اقترفت بهدف تدمير الجماعة المستهدفة بشكل كلي أو بشكل جزئي)، هو فرض "ضوابط تهدف إلى منع التوالد داخل الجماعة". نظرا لأن الممارسة الأسترالية الممثلة في اختطاف أطفال السكان الأصليين بافتراض "نجاحها"، ستؤدي إلى خلق وضع يجد الجيل الثاني من الأطفال أنفسهم مولودين في بيئة مختلفة عن تلك التي ولد فيها الطفل/الأب الذي اختطف، فإن هناك أدلة كافية تشير إلى أن الإبادة الجماعية قد مورست في أستراليا ما بعد الحرب بالاستناد فقط على المادة 2 فقط. من المستحيل في هذه الحالات رسم خطوط واضحة ما بين الثقافة والبيولوجيا. فعلى الرغم من أن الطفل قد اختطف جسديا، فإن الناتج النهائي هو موضوع تصنيف اجتماعي بالدرجة

نفسها التي هي موضوع إحصاء سكاني. وبغض النظر، فإن المساهمة المتعمدة للتدمير الديموغرافي للجماعة المتضررة لا لبس فيها.

***

لماذا إذن منطق الإلغاء/المحو بدلا من الإبادة الجماعية؟ كما أشرت في البداية فإن الكولونيالية الإستيطانية هي بنية اجتماعية خاصة، ومن الضروري الحفاظ على تلك الخصوصية. ولكنني وبقدر ما تسمح لي معرفتي، فإنني لا استطيع القول بأن فهم الكولونيالية الاستيطانية سيساعدنا في فهم القتل الجماعي الذي، استهدف الساحرات في أوروبا القرون الوسطى، أو التوتسي في رواندا، أعداء الشعب في كمبوديا، أو اليهود في ألمانيا النازية، (إن الليبينسراوم هي أمر آخر). ومن نفس المنطق، ومع إمكانية إستثناء الساحرات (اللواتي يرتبط قتلهن بشكل جماعي على ما يبدو بتغير اجتماعي كبير) فإن باقي عمليات القتل الجماعي لا تملك سوى القليل لتقوله حول سعي الكولونيالية الاستيطانية المتماسك والطويل الأمد لمحو/إلغاء مجتمعات السكان الأصليين. فمقابل الهولوكوست، الذي كان متصلا بالنازية وليس ألمانيا(والتي لم تكن – أو حتى تاريخيا أكثر- الدول الأوروبية المعادية للسامية)، فإن الكولونيالية الاستيطانية بشكل نسبي لا تتأثر بتغير الحكومة. إن الإبادة الجماعية للهنود أمركيا أو السكان الأصليين في أستراليا لم يخضع للإستفتاء. ماذا إذن عن نوع خاص من الإبادة الجماعية.- كمثل الصيغة الإشتقاقية الماهرة "indigenocide" لريموند إيفانز وبل ثورب(67) أو إحدى المصطلحات التي نشأت عن دمج كلمتين وكثيرا ما تم طرحها، مثل (الإبادة الجماعية الثقافية، الإثنية، السياسية)(68)؟ إن المشكلة الظاهرة والتي لا يمكن تجاوزها فيما يخص الإبادات الجماعية المؤهلة هي أنها وبقدر ما هي دفاعية بجوهرها، فإنها تعيش تحت تهديد حل نفسها. فهي لا تنوجد أبدا كشيء حقيقي، بالضبط ما يعنيه إلحاق الإثنية بالقومية(دمجهما) والذي يبدو متسامحا إلا أنه يعني أيضا أن هؤلاء الأشخاص ليسوا أستراليين أو أمريكيين بالكامل. ولكن بعيدا عن تلك المشكلة التصنيفية، هناك أساس تاريخي للخفوت النسبي للإبادات الجماعية المؤهلة، وهذا الأساس هو بالطبع الهولوكوست، هذا النموذج اللا-نموذجي، الذي بكونه مثالا لا غنى عنه، لا يستطيع في الوقت نفسه أبدا أن يعطي مثالا. إبقاء عين على الهولوكوست الذي هو دائما المشير غير المؤهل نحو الإبادات الجماعية المؤهلة، لا يمكن إلا أن يضر بالسكان الأصليين لأنه بشكل متوال يشدد على قيمة النقص في قلب اللا-غرب. فوق ذلك، فعلى حين يبرئ الهولوكوست الدول الأوروبية المعادية للاسامية التي كانت ضد للنازية، فإن هذه الدول نفسها لا تملك ما تكسبه من مسؤوليتها عن الإبادات الجماعية الكولونيالية. على أرضية تاريخية وتصنيفية في ذات الوقت، فإن هذه الإبادات الجماعية ذات التوصيفات المختلفة تقلل من قيمة تآكل السكان الأصليين. لا تربك مشكلة من هذا النوع تحليل منطق الإلغاء/المحو، والذي في خصوصيته المرتبطة بالكولونيالية الاستيطانية يرتكز على تأمين- الحصول والحفاظ- على الأرض.(69) إن هذا المنطق يتطلب بالطبع إلغاء/محو ملاك تلك الأرض، ولكن دون أن يشير إلى طريقة معينة، وهذا ما يجعله أوسع من الإبادة الجماعية. على سبيل المثال فإن نموذج التنميط الرومانسي والذي أطلقت عليه اسم "الأصالة

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

المكبوتة"، وهو إحدى خصائص الخطاب الكولونيالي الاستيطاني في العديد من البلدان، ليس تعبيرا عن الإبادة الجماعية في جوهره، على الرغم من أنه يقوم على محو أعداد كبيرة من السكان الأصليين من الحسابات الرسمية، وبالتالي فهو عادة يأتي ملازما لممارسات الإبادة الجماعية.(70) في الواقع، وبالاعتماد على الحدس التاريخي، فإن المحاكاة/المماهاة قادرة على أن تكون أسلوبا أكثر فعالية في المحو/الإلغاء من الطرق التقليدية التي تتخذ من القتل وسيلة لها، لانها لا تتضمن تلك الإساءة التخريبية لسيادة لقانون التي تعتبر أديولوجيا محورية لضمان تماسك المجتمع الاستيطاني. حين يُنظر للغزو كبنية بدلا من اعتباره حدثا، فإن تاريخه لا يتوقف- أو وحتى نكون أكثر دقة، يصبح بشكل نسبي طفيفا- حين ينتقل من الاقتتال على الحدود. بدلا من ذلك، فإن سرد ذلك التاريخ يتطلب تعيين مختلف أنواع الاستمرارية، القطع، التكيف، الانحراف والتي من خلالها يتحول المنطق الذي ابتدأ بالاقتتال على الحدود إلى نماذج، خطابات، وأشكال مؤسساتية مختلفة، كما لو أنه يدرس التطور التاريخي وتعقيدات المجتمع الاستيطاني، إن تلك ليست عملية هرمية.

كيف إذن يمككنا، حين يتمظهر الإلغاء/المحو من خلال الإبادة الجماعية أن نحافظ على خصوصية الكولونيالية الاستيطانية دون أن نقلل من أثره من خلال اللجوء إلى الإبادة الجماعية المؤهلة؟ أنا اقترح أن مصطلح "الإبادة الجماعية البنيوية" يتجنب الأسئلة المتعلقة بالدرجة- وبالتالي، بالهرمية بين الضحايا- التي تتطلبها الإبادات الجماعية المؤهلة، في الوقت نفسه الذي يحافظ فيه على تيبس بنية الكولونيالية الاستيطانية (كما أنه يسمح بشمل الساحرات- اللواتي كان القضاء عليهم كما وضح شارليز زيكا مرتبطا بشدة بالقضاء المعاصر على الهنود الحمر في الجهة الأخرى من الأطلسي.(71) باستخدام منظور تاريخي نحو الإبادة الجماعية البنيوية، فإننا نستطيع تمييزه كحدث معلق(أي، يبدو أنه في أستراليا الحديثة) أكثر من كونه شيئا من الماضي- ولهذا علينا القول بأننا علينا أن ندافع ضد إمكانية عودة ما يسميه ديرك موسيس "لحظات الإبادة الجماعية" (يستمر موظفي الخدمة الاجتماعية بأخذ الأطفال أبناء السكان الأصليين في بأعداد غير متناسبة، على سبيل المثال).(72) يسمح لنا التركيز على الإبادية الجماعية البنيوية بتقدير بعض العلاقات المادية الإمبريقية ما بين الترحيل المكاني، القتل الجماعي، وسياسات المحاكاة/المماهاة البيو-ثقافية. على سبيل المثال، حين لم يعد هناك أي مكان آخر للترحيل(كما حصل مع إغلاق الحدود في الولايات المتحدة واستراليا، أو بعد الانتصار السوفييتي على الجبهة الشرقية لألمانيا النازية) فإن القتل الجماعي، أو المحاكاة/المماهاة يصبحان الخياران الوحيدان الممكنان. وفي تلك الحالة فإن اللجوء إلى القتل الجماعي يعكس الافتراض المسبق بأن الضحايا غير قادرين على أن يحاكوا ويتماهوا، كما في حالة اليهود بالعلاقة مع الدم الآري.(73) وبالتالي فإن برامج المماهاة/المحاكاة تعكس الضرورات الأيديولوجية للمجتمعات الكولونيالية الاستيطانية، التي تتميز بأنها تستشهد بتقدم السكان الأصليين لإعتماداهم بشكل مساو لمجموعة من المهاجرين.(74)

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

***

كيف من الممكن إذن أن يساعد ذلك على توقع أو منع الإبادة الجماعية؟

في البداية فإنها تبين لنا بأن الكولونيالية الاستيطانية هي مؤشر. على الرغم من أنه هذه النتيجة غير مستساغة(بالتحدث كأحد أفراد هذا المجتمع الاستيطاني) إلا أنها تملك جانبا إيجابيا ملازما للبعد المؤقت للكولونيالية الاستيطانية. فعلى حين تستمر الكولونيالية الاستيطانية على مدى أزمان ممتدة، فإنه سيكون من الأسهل مقاطعة الإبادة الجماعية البنيوية من الإبادات الجماعية القصيرة. على سبيل المثال فإنه يبدو منطقيا الثناء على تدخل الأمم المتحدة واستراليا المتأخر في تيمور الشرقية لدرء إمكانية برنامج ابادة جماعية مستمرة أو متجددة. صحيح أن الواقعية السياسية هي عامل. وبالتالي فإن المعجزة في تيمور لا تحمل الكثير من الأمل لنقل على سبيل المثال في التيبت.

وبما أن الكولونيالية الاستيطانية هي مؤشر، فهذا يعني بأن علينا أن نراقب الظروف التي تشتد فيها الكولونيالية الاستيطانية، أو حين تبدأ المجتمعات التي لم تصبح بعد أو تصبح بشكل كامل كولونيالية استيطانية، بتبني أكثر صفاتها. إن الاستغناء التدريجي لإسرائيل عن اعتمادها على اليد العاملة الفلسطينية يشير بشؤم إلى تلك النقطة.(75) لقد جادل كولن تاتز، بشكل نهائي بنظري، على حين كان السلوك التركي في أرمينيا، النازي في أوروبا، والأسترالي نحو السكان الأصليين (من بين أمثلة أخرى) يؤسسان للإبادة الجماعية، فإن حكم الفصل العنصري في أفريقيا الجنوبية لا يشير لذلك. والسبب الرئيسي برأيه يعود إلى أن العمالة الأفريقية كانت شيئا لم يمكن الاستغناء عنه بالنسبة لجنوب أفريقيا ذات الفصل العنصري، وبالتالي فإن تدميرها سيأتي بنتائج عكسية. ويمكن القول نفس الشيء عن العبودية الأفريقية الأمريكية. في كل من الحالتين فإن الإبادة الجماعية هي المحكمة الخاطئة.

إن المثال الأمريكي المشابه هو مميز لأنه وعلى عكس الحالة الجنبو أفريقية، لأنه تم تجاوز المنظومة الرسمية للإضطهاد (العبودية) إلا أن البيض هو من بقوا في السلطة.(76) بعد الانعتاق أصبح السود فائضين عن حاجة بعض الضروريات، وصاروا أقرب للهنود. وبالتالي فإنه من المهم جدا ملاحظة أن البربرية التي اقترفت بحق السود من اعدام أثناء فترة حكم جيم كرو الإرهابية هي ظاهرة من ظواهر ما بعد الانعتاق.(77) كبضاعة قيمة، لم يتم القضاء على العبيد إلا في حالات قصوى. وحتى بعد انتهاء العبودية، فقد تجلت قيمة السود بتوفيرهم عمالة مفرطة في الرخص(مقدمين تحريضا للبيض الفقراء) وبالتالي فقد خففت نزعة الاستغناء عنهم.(78) حاليا يشير كل من التقطيع العنصري للمدن الكبيرة ونظام العقوبات في أمريكا بأنه حين ينجو المستعمَرين من كونهم ذوو فائدة، فإن المجتمعات الاستيطانية ستعود إلى الخلف في الاستراتيجيات التي تستعيرها من مخزونها الضخم(وفي هذه الحال التقييدات الفضائية) للتعامل بنفس الطريقة التي طبقتها على السكان الأصليين الفائضين عن الحاجة. لا يوجد

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

بالكاد أي تعبير فيزيائي عن التقييدات الفضائية كالفصل الموجود في الضفة الغربية، هنا أيضا اعتمد الفصل العنصري على التقييد.

ربما يجد كولن تاتز الذي يشدد على أن اسرائيل ليست قائمة على الإبادة الجماعية(79)، بأن من السياسي السماح برابط ما بين الصهيونية وحكومات الفصل العنصري، كالثمن المدفوع لتجنب الإبادة الجماعية. من الصعب التخيل بأن باحثا بفطنته فشل في الانتباه للواقع الفلسطيني في جملته التي أشار بها إلى شباب البيكو بأن "هم ألقوا الحجارة وماتوا بسبب أعمالهم"(80) على أية حال، وفيما يصبح الفلسطينيون أكثر فأكثر قابلية للاستغناء عنهم، تصبح غزة والضفة الغربية أقل وأقل شبها ببانتوستان وأكثر قربا من كونهم محفوظات (أو لذلك السبب، مثل غيتو وراسو). إن الحدود ذات الثغرات لا توفر مسربا للخارج.

المراجع والملاحظات:

1. Patrick Wolfe, 'Nation and MiscegeNation: Discursive Continuity in the Post-Mabo Era', *Social Analysis*, 36, (1994), pp 93–152; *Wolfe, Settler Colonialism and the Transformation of Anthropology* (London: Cassell 1999).

2. انظر على سبيل المثال:

Collette Guillaumin, 'The Idea of Race and its Elevation to Autonomous Scientific and Legal Status', in Guillaumin, *Racism, Sexism, Power and Ideology* (London: Routledge 1995), pp. 61–98; Ivan Hannaford, *Race: The History of an Idea in the West* (Baltimore: Johns Hopkins University Press 1996); Kenan Malik, *The Meaning of Race: Race, History and Culture in Western Society* (London: Macmillan 1996). Patrick Wolfe, 'Race and Racialisation: Some Thoughts', *Postcolonial Studies*, 5, 1 (2002), pp 51–62.

3. لقد غابت هذه النقطة عن روبيرت مان. حين أجاب عن سؤال طرح عام 1937 من قبل أحد موظفي جمعية شؤون السكان الأصليين الأستراليين أ.و. ن ف بل ("هل سنضم في الدولة الأسترالية 100000 أسودا، أو هل سنقوم بدمجهم في مجتمعنا وننسى في النهاية بأنه كان هناك أي سكان أصليين في أستراليا؟")، اقترح مان بأنه من أجل التقاط مضامين الإبادة الجماعية للسؤال، "بأنه علينا فقط أن نستبدل فقط كلمتي السود والسكان الأصليين {هكذا} بكلمة "يهود" وإيجاد السؤال المطروح حول الإبادة الجماعية في برلين بدلا من كانبيرا.

Robert Manne, 'Aboriginal Child Removal and the Question of Genocide', in A. Dirk Moses (ed.), *Genocide and Settler Society* (Berghahn: New York, 2005), pp 219–220.

وبعيدا عن اختراعها، تفشل هذه المماثلة لأن التصنيف العرقي/العنصري لليهود من قبل النازيين لم يفض في النهاية إلى تبني المحاكاة/المماهاة. بل إن العكس هو ما حصل. وكما لاحظ روبيرت جيلاتيلي "على الرغم من أنه يمكننا الإشارة إلى بعض أوجه الشبه ما بين الخطط والوقائع النازية التي استهدفت اليهود والسلافيكيين، إلا أنه يظل هناك فرق واحد جوهري في المبدأ، لم يكن باستطاعة اليهود أبدا أن يخلصوا، أن ينعتقوا، أن يتم تبني المحاكاة/المماهاة معهم." غيلاتلي، " الرايخ الثالث، الهولوكوست ورؤى الإبادة الجماعية المتسلسلة،" في:

Robert Gellately, 'The Third Reich, the Holocaust, and Visions of Serial Genocide', in Gellately, Ben Kiernan (eds), *The Specter of Genocide: Mass Murder in Historical Perspective* (Cambridge: Cambridge University Press 2003), pp 241–263, especially p. 262.

4. Roger W. Smith, 'Human Destructiveness and Politics: The Twentieth Century as an Age of Genocide', in Isidor Wallimann, Michael N. Dobkowski (eds), *Genocide and the Modern Age: Etiology and Case Studies of Mass Death* (New York: Greenwood Press, 1987), pp. 21–39, especially p. 31.

5. Deborah Bird Rose, *Hidden Histories: Black Stories from Victoria River Downs, Humbert River and Wave Hill Stations* (Canberra: Aboriginal Studies Press 1991), p. 46.

6. "{أ}حدهما القضاء على النموذج القومي للشعب المضطَهَد، أما الآخر فهو فرض النموذج القومي للشعب المضطهِد. إن هذا الفرض يمكن أن يمارس على الجماعة المقهورة التي سُمح لها بالبقاء، أو على الأرض لوحدها بعد ترحيل السكان واستعمار المنطقة من قبل مواطني الدولة المستعمِرة." في:

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

Raphael Lemkin, *Axis Rule in Occupied Europe: Laws of Occupation, Analysis of Government, Proposals for Redress* (New York: Carnegie Endowment for International Peace 1944), p. 79.

7. Wolfe, *Settler Colonialism and the Transformation of Anthropology*, p. 2; Wolfe, 'Nation and MiscegeNation', p. 96.

8. Theodor Herzl, *Old–New Land* (New York: M. Wiener 1941 [1902]), p. 38.

9. Meron Benvenisti, *Sacred Landscape: The Buried History of the Holy Land since 1948* (Berkeley, CA: California University Press, 2000), p. 2.

10. قام وليد وزملائه بتوثيق القرى العربية التي دمرت في موسوعة:

Walid Khalidi, *All That Remains: The Palestinian Villages Occupied and Depopulated by Israel in 1948* (Washington, DC: Institute of Palestine Studies, 1992).

11. Tony Birch, '"Nothing has Changed": The "Making and Unmaking" of Koori Culture', in Michèle Grossman (ed.), *Blacklines: Contemporary Critical Writing by Indigenous Australians* (Melbourne: Melbourne University Press, 2003), pp. 145–158.

12. Mark LeVine, *Overthrowing Geography: Jaffa, Tel Aviv, and the Struggle for Palestine, 1880–1949* (Berkeley, CA: California University Press 2005), p. 227.

13. Gershon Shafir, *Land, Labor, and the Origins of the Israeli–Palestinian Conflict, 1882–1914*, (Cambridge: Cambridge University Press, 1989), p. 81.

14. Shafir, *Land, Labor, and the Origins of the Israeli–Palestinian Conflict,* pp. 81–82.

15. Quoted in LeVine, *Overthrowing Geography*, p. 167.

16. للإطلاع على تحليلات مختلفة حول التشكيلات الرئيسية لعقيدة الإكتشاف مراجعة:

Anthony Anghie, 'Francisco de Vitoria and the Colonial Origins of International Law', in Eve Darian-Smith, Peter Fitzpatrick (eds), *Laws of the Postcolonial* (Ann Arbor, MI: Michigan University Press 1999), pp. 89–107; Andrew Fitzmaurice, *Humanism and America: An Intellectual History of English Colonisation, 1500–1625* (Cambridge: Cambridge University Press, 2003); David Kennedy, 'Primitive Legal Scholarship', *Harvard International Law Journal*, 27 (1986), pp. 1–98; Mark F. Lindley, *The Acquisition and Government of Backward Territory in International Law* (London: Longmans, Green, 1926); Robert A. Williams, *The American Indian in Western Legal Thought: The Discourses of Conquest* (Oxford: Oxford University Press, 1990), especially pp 233–286.

17. إن هذه الملاحظة تكاد توحد جميع المعلقين، بغض النظر عن دوافعهم السياسية. انظر:

See, e.g., Anthony Anghie, 'Finding the Peripheries: Sovereignty and Colonialism in Nineteenth-Century International Law', *Harvard International Law Journal*, 40, 1999, pp 1–80, especially p. 69; L.C. Green, 'Claims to Territory in Colonial America', in L.C. Green, Olive P. Dickason, *The Law of Nations and the New World* (Alberta: Alberta University Press, 1989), p. 125.

18. For example, Wilcomb E. Washburn (ed.), *History of Indian–White Relations* (Washington, DC: Smithsonian Institution, 1988), William C. Sturtevant (ed.), *Handbook of North American Indians*, 4 (Washington D.C., Smithsonian Institution, 1978), pp. 5–39.

19. كما يصوغ القاضي جونسون موافقته على الحكم القضائي للقاضي مارشال في قضية الشيروكي مقابل جوريجا، : إن الولاية الصيادة تحمل في جوهرها أمل تطهير المنطقة، لأنه حين تتوقف اللعبة سيذهب الصياد إلى مكان آخر للحصول عليها. ولكن المجتمع الأكثر ثباتا سيتركز على التدمير المستمر للأمل، وأيضا، كنتيجة على حق الشفاعة":

Cherokee v. Georgia, 30 US (5 Peters) 1, 1831, p. 23.

20. إن الأحكام التي عادة ما يستشهد بها فيما يتعلق بهذ الموضوع هي:

Worcester v. Georgia, 31 US (6 Peters) 515, 1832; *Crow Dog*, 109 US 556, 1883; *Williams v. Lee*, 358 US 217, 1959.

وأقوم حاليا بتحضير مداخلة نقدية حول التقييدات على هذه الأحكام، وحول القيود حول السيادة الهندية ذات الطابع الامريكي ككل، في مقالة تحت عنوان مؤقت :ضد الخداع العالمي: تعيين الفجوة ما بين الخطاب والنتيجة في سياسات وقوانين الهنود في الولايات المتحدة".

21. Harvey D. Rosenthal, 'Indian Claims and the American Conscience: A Brief History of the Indian Claims Commission', in Imre Sutton (ed.), *Irredeemable America: The*

Indians' Estate and Land Claims (Albuquerque: New Mexico University Press, 1985), pp. 35–70. Quotation at p. 36.

22. إن المراجع التقليدية للأدبيات الراسخة في هذا الموضوع:

Annie H. Abel, 'The History of Events Resulting in Indian Consolidation West of the Mississippi River', in *American Historical Association Annual Report for 1906* (Washington, DC: American Historical Association, 1906), 2, pp 233–450; Angie Debo, *A History of the Indians of the United States* (Norman, OK: Pimlico, 1970); Grant Foreman, *Indian Removal* (Norman, OK: Oklahoma University Press, 1932).

23. James M. Mooney, *Historical Sketch of the Cherokee* (Chicago: Aldine Transaction, 1975 [1900]), p. 124.

24. إن أحد أكثر المراجع حيوية حول مشروع علم الجماجم/علم قياس الجماجم يظل كتاب:

Stephen J. Gould, *The Mismeasure of Man* (Harmondsworth: Norton, 1981).

ولمرجع رائع حول الموضوع بتركيز على الحالة الأسترالية انظر:

Helen MacDonald, *Human Remains: Episodes in Human Dissection* (Melbourne: Melbourne University Press, 2005).

25. Patrick Wolfe, 'The Limits of Native Title', *Meanjin*, 59, 3 (2000), p. 144.

26. Williams, *American Indian in Western Legal Thought*, p. 269.

27. *Johnson v. McIntosh*, 21 US (8 Wheaton), 543, 1823, p. 573.

28. للإطلاع على كتب تناقش بتوسع أكثر مفهوم أونلي حول "مسار التاريخ" انظر كل من:

Jackie Delpero, "The Tide of History": Australian Native Title Discourse in Global Context, MA thesis, Victoria University, 2003; David Rittter, 'The Judgement of the World: The Yorta Yorta Case and the "Tide of History"', *Australian Historical Studies*, 123 (2004), pp. 106–121.

29. Ilan Pappé, *The Making of the Arab–Israeli Conflict, 1947–1951* (London: I.B. Tauris, 2001), p. 187.

"من أجل تبرير ضم النقب في الدولة اليهودية المقبلة، تم بناء 11 كيبوتسا بنفس الوقت في الصحراء في السادس من تشرين الأول، 1946 بالإضافة إلى عشر مستوطنات موجودة بالأصل."

Nathan Weinstock, *Zionism, False Messiah* (London: Ink Links, 1979), p. 249.

30. Bernard Avishai, 'Saving Israel from Itself: A Secular Future for the Jewish state', *Harper's Magazine*, January 2005, pp. 33–43. Quotation at p. 37.

31. Isabel V. Hull, 'Military Culture and the Production of "Final Solutions" in the Colonies: The example of Wilhelminian Germany', in Gellately, Kiernan, *The Specter of Genocide*, pp. 141–162.

32. عام 1902 عبر الليبرالي الإنجليزي المعروف جي.إيه. هوبسون عن الخوف "من أن فنون وحرف الاستبداد التي تم اكتسابها وممارستها في امبراطوريتنا اللاحرة، سيتم توجيهها نحو حرياتنا في الوطن":

J.A. Hobson, *Imperialism: A Study* (London: Allen & Unwin, 1902), p. 160.

33. Enzo Traverso, *The Origins of Nazi Violence,* (New York: New Press, 2003); Charles Patterson, *Eternal Treblinka: Our Treatment of Animals and the Holocaust* (New York: Lantern Books, 2002).

34. "إن تطهير أحياء الغيتو اليهودية تحول إلى يوم جامح من اطلاق النار في مناطق معينة من المدينة، مع نهايته كانت الأجساد ملقاة في الشوارع الرئيسية التي تؤدي إلى محطات القطار."

Dieter Pohl, 'The Murder of Jews in the General Government', in Ulrich Herbert (ed.), *National Socialist Extermination Policies: Contemporary German Perspectives and Controversies* (New York: Berghahn Books, 2000), pp. 83–103. Quotation at p. 99. See also Jürgen Zimmerer, 'Colonialism and the Holocaust: Towards an Archaeology of Genocide', in Moses, *Genocide and Settler Society*, pp. 48–76. On colonial starvations and the 'New Imperialism', see Mike Davis, *Late Victorian Holocausts: El Niño Famines and the Making of the Third World* (London: Verso, 2001).

35. إن اسرائيل في هذه الحالة بالطبع، تعتبر استثناء بشكل جزئي، ولكن ليس بشكل جوهري كما يتم التأكيد عليه من قبل أولئك الذين يدعون بأن اسرائيل لا يمكن أن تكون بناء كولونياليا لأنها تفتقر إلى مصدر مديني مفوض واحد. من البدايات قام اليشوف باستمالة الإمبريالية العثمانية، البريطانية والأمريكية لأجل مصالحهم، انتهازية متبادلة تتضمن ما وصفه ماكسيم رودينسون ببراعة ب "البلد الأم الجمعي".

Maxime Rodinson, *Israel: A Settler-Colonial State?* (New York: Monad, 1973), p. 76.

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

36. Cole Harris, 'How did Colonialism Dispossess? Comments from an Edge of Empire', *Annals of the Association of American Geographers*, 94 (2004), p. 179.
37. Robert Melson, 'Modern Genocide in Rwanda: Ideology, Revolution, War, and Mass Murder in an African State', in Gellately, Kiernan, *The Specter of Genocide*, pp. 325–338. Quotation at p. 326.
38. Melson, 'Modern Genocide in Rwanda', pp. 327–328.
39. "إن الإنتاج الذي ينتج عن ما يعادل آكر واحد من الأراضي المزروعة المملوكة تساوي بقيمتها عشر مرات لقيمة ما تنتجه الأرض المشاع":

John Locke, *Two Treatises of Government* (Cambridge: Cambridge University Press, 1963 [1698]), p. 312.

40. إن اليهودي الجديد يظل ثيمة صهيونية ثابتة. في تقديمه لمذكراته الإرهابية، يعلن ميناحيم بيغن الذي سيصبح رئيس وزراء اسرائيل، بأنه وبالإضافة لقرائه اليهود، فإنه قد قام بكتابة هذا الكتاب للأغيار: " خشية أن يكونوا غير مستعدين لإدراك، أو قادرين على تجاهل حقيقية بأنه من الرحم والدم والدموع والرماد ولد نوع جديد من الإنسان، نوع غير معروف بشكل كلي للعالم خلال ثمانية عشر ألف سنة، إنه "اليهودي المقاتل".

Menachem Begin, *The Revolt* (London: W.H. Allen, 1979), p. xxv, capitals in original.

وللإطلاع على نموذج أكثر معاصرة من الدياسبورا، انظر، على سبيل المثال، الصور الفوتوغرافية لآدي نيس المستخدمة للترويج للمتحف اليهودي في نيويورك 1998- 1999 معرض "بعد رابين: فن جديد من اسرائيل" في

thejewishmuseum.org/site/pages/content/exhibitions/special/rabin/rabin_zoom/rabinL1.html

41. " إن {جون} روس- رجل الأعمال التيروكي الناجح- كان هو ما يثير خوف سكان جورجيا البيض. كانت الحقبة الأكبر في سبيل الحصول على أراض التيروكي هي محرات المزارع وسوط المشرف- وليس هروات الحرب، نبالها، وسكاكينها الحادة".

Sean M. O'Brien, *In Bitterness and in Tears: Andrew Jackson's Destruction of the Creeks and Seminoles* (Westport, CT: Praeger, 2003), p. 229.

ولأجل دستور شعب التيروكي، أنظر:

Cherokee Phoenix, February 28, 1828.

42. إن القدرة على تحقيق الديمومة مرتبط دائما بالأصل الأوروبي، وفي مثال آندو جاكسون عن الذرية التي نتجت من اختلاط الأجناس والذين شجعوا التشكاسو على عدم التنازل عن أراضيهم.

Theda Perdue, *'Mixed Blood' Indians: Racial Construction in the Early South* (Athens, GA: Georgia University Press, 2003), pp. 70, 95–96.
43. Foreman, *Indian Removal*, p. 310.
44. Perdue, *'Mixed Blood' Indians*, p. 68.
45. Ronald N. Satz, *American Indian Policy in the Jacksonian Era* (Lincoln, NE: Nebraska University Press, 1975), p. 83.
46. إن معاداة السامية الأوروبية تستطيع الإتيان بنفس النتائج: " كل ما فشلت بفعله قرون الحرمان والإضطهاد، استطاع الضوء الباهر للخلاص {اليهودي} أن يحققّه. ولكن، كان الخيار محدودا. تفصح كلمات كليبرمونت توتير نائب ليبرالي في المجلس الوطني الفرنسي "لليهود كقومية جمعية لا نقدم شيئا، لليهود كأفراد نقدم كل شيء".. عن الحدودية التي كان يتضمنها تطبيق الليبرالية":

Isaiah Friedman, *The Question of Palestine, 1914–1918: British–Jewish–Arab Relations* (London: Routledge & Kegan Paul, 1973), p. 26.
47. From Richard H. Pratt, 'The Advantages of Mingling Indians with Whites' (1892), in Francis P. Prucha (ed.), *Americanizing the American Indians: Writings by the 'Friends of the Indian', 1880–1900* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1973), pp. 260–271. Quotation at p. 261. Ward Churchill's *Kill the Indian, Save the Man: The Genocidal Impact of American Indian Residential Schools* (San Francisco: City Lights, 2004) illuminates the genocidal consequences of Friends of the Indian-style total institutions with dreadful and systematic clarity.
48. حتى الآن على الأقل، إذا قامت القاعدة بإعادة العملية عددا كافيا من المرات، فإن 11/9 سيزغ كبادية لإبادة جماعية. حسب التعريف، وكما في حالات أخرى متكررة أو متراكمة، من الممكن للإبادة الجماعية أن تستعاد بأثر رجعي.
49. لقد كان يملك خيارات أخرى. ليديل وسكوت يمنحان "العرق، المخزون والعائلة" معنى رئيسيا للتوالد، بالإضافة إلى معان ثانوية أخرى تشمل النسل، القومية، الطبقة الاجتماعية، التكاثر والنوع الاجتماعي(!) و "الطبقة، النوع، الطبيعة". "القبيلة" تندرج تحت الإثنية ("عدد من الأفراد يعيشون معا، مشاركة، جسم الرجال....العرق، العائلة، القبيلة").

Henry G. Liddell, Robert Scott, *Greek–English Lexicon* (Oxford: Clarendon, 1869), pp. 314, 426. Cf. Lemkin, *Axis Rule in Occupied Europe*, p. 79.
50. Russell Thornton, *American Indian Holocaust and Survival: A Population History Since 1492* (Norman, OK: Oklahoma University Press, 1987), p. 133.

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

51. ما بين عامي 1998-2000، كان متوسط العمر المتوقع للسكان الأصليين والتوريس ستريت ساكنوا الجزر أقصر بواحد وعشرين عاما للذكور وعشرين عاما للإناث بالمقارنة مع باقي السكان...وما بين عامي 1998-200 كان معدل الوفيات للأطفال الرضع من السكان الأصليين أعلى بحوالي أربع مرات من معدل باقي السكان.".

Australian Bureau of Statistics, *Australian Social Trends: Health—Mortality and Morbidity: Mortality of Aboriginal and Torres Strait Islander Peoples* (Canberra: Australian Bureau of Statistics, 2002), p. 1.

انظر أيضا:

House of Representatives Standing Committee on Family and Community Affairs, *Health is Life: Report on the Inquiry into Indigenous Health* (Canberra: House of Representatives, 2000); Neil Thomson, 'Trends in Aboriginal Infant Mortality', in Alan Gray (ed.), *A Matter of Life and Death: Contemporary Aboriginal Infant Mortality* (Canberra: Aboriginal Studies Press, 1990), pp. 1–8.

52. ما اشتراه جيفرسون هو السيادة الفرنسية، إن الطبيعة الخام غير المستقرة لعملية شراء الأرض(على الأقل، خارج حدود نيوأورليانز ومحيطها ومستوطناتها مثل ديترويت وسان لويس) تمثل من خلال التفويض السريع لبعثة ليوس وكلارك عام 1803 لترسيمها.

53. لقد كان هذا الواقع خلف تزايد السكان على الحدود "بعقد قبل 1820، تزايد سكان ولاية آلاباما الحديثة بحوالي بمعدل 1000 بالمائة".

O'Brien, *In Bitterness and in Tears*, p. 221.

ولصورة موضحة حول ردود فعل الكريك حول هذا الاجتياح، انظر:

Richard S. Lackey (ed.), *Frontier Claims in the Lower South: Records of Claims Filed by Citizens of the Alabama and Tombigbee River Settlements in the Mississippi Territory for Depradations by the Creek Indians During the War of 1812* (New Orleans: Polyanthos, 1977).

54. Abel, 'Indian Consolidation West of the Mississippi River', p. 412.

55. لن يتم الاعتراف بأي قبيلة أو شعب هندي داخل الولايات المتحدة كدولة، قبيلة أو سلطة مستقلة بحيث، تكون الولايات المتحدة قادرة على عقد الاتفاقيات معهم"

16 *Stat.*, 566 (Act of March 3, 1871), c 120, s 1.

للنقاش انظر:

Vine Deloria, David E. Wilkins, *Tribes, Treaties, & Constitutional Tribulations* (Austin, TX: Texas University Press, 1999), pp. 60–61; Francis P. Prucha, *The Great Father: The United States Government and the American Indians* (Lincoln, NE: Nebraska University Press, 1986), p. 165.

56. بالأخص:

US v. Kagama, 118 *US* 1886, p. 375; *Lone Wolf v. Hitchcock*, 187 *US* 1903, p. 553.

57. John R. Wunder, *'Retained by the People': A History of American Indians and the Bill of Rights* (New York: Oxford University Press, 1994), pp. 17, 39.

58. إن المرجع الأفضل حول هذه الحملة يظل التقرير الرسمي الذي تسرب إلى البيت الأبيض قبل قانون إعادة التنظيم الهندي لعام 1934:

D. S. Otis, *The Dawes Act and the Allotment of Indian Lands,* (Norman, OK: Oklahoma University Pres, 1973 [1934]).

59. *Statistical Abstract of the United States* (Washington, DC: US Bureau of the Census, Department of Commerce, 1955), p. 180.

60. انظر على سبيل المثال:

Frederick E. Hoxie, *A Final Promise: The Campaign to Assimilate the Indians, 1880–1920* (Cambridge: Nebraska University Press, 1989); Prucha, *Americanizing the American Indians*, passim.

61. Thomas J. Morgan, 'What is an Indian?', in *Sixty-Fifth Annual Report of the Commissioner for Indian Affairs* (Washington, DC: Government Printing Office, 1892), pp. 31–37.

62. إن العامل الرئيسي في العلاقات العرقية الكولونيالية وما بعد الكولونيالية ليس كما يجادل البعض مجرد إحصاءات تعدادية بسيطة، لأنه سيتم تمييز السكان قبل إحصائهم. ولا يمكن التشديد بشكل كاف على أن الاختلاف ليس معطى سابق بكل بساطة. إنه نتيجة التمييز، والذي هو بشكل مكثف عملية متصارعة."

Patrick Wolfe, 'Land, Labor, and Difference: Elementary Structures of Race', *American Historical Review*, 106 (2001), pp. 865–905. Quotation at p 894.

63. M. Annette Jaimes, 'Federal Indian Identification Policy: A Usurpation of Indigenous Sovereignty in North America', in Jaimes (ed.), *The State of Native America:*

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

Genocide, Colonization, and Resistance (Boston: South End Press, 1992), pp. 123–138. Quotation at p. 137.

وتصف باتريشا ليميرك هذا الوضع بشكل موجز،" اجعلوا من نسبة الدم قائما على الربع ، وصيغوا من ذلك تعريفا جامدا للهنود، اسمحوا بالزواج المختلط الذي حصل على مدى قرون وفي النهاية سينتهي وجود الهنود، وحين يحصل ذلك ستتحرر الحكومة بشكل نهائي من "مشكلة الهنود" المستمرة.

Patricia Limerick, *The Legacy of Conquest: The Unbroken Past of the American West* (New York: Norton, 1987), p. 338.

64. Donald L. Fixico, *Termination and Relocation: Federal Indian Policy,* 1945–1960 (Albuquerque: New Mexico University Press, 1986); Charles F. Wilkinson, Eric R. Biggs, 'The Evolution of the Termination Policy', *American Indian Law Review*, 5 (1977), pp. 139–184.

65. Baruch Kimmerling, Joel S. Migdal, *The Palestinian People: A History* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2003), p. 172.

66. Wolfe, 'Nation and MiscegeNation', p. 111; Wolfe, *Settler Colonialism and the Transformation of Anthropology*, p. 180.

إن الباحثين الذين ذكروا هذه النقطة بعدي هم أكثر عددا من أن أذكرهم، أما عن الذين ذكروها قبلي سنجد على سبيل المثال:

Jeremy Beckett, 'The Past in the Present, the Present in the Past: Constructing a National Aboriginality', in Beckett (ed.), *Past and Present: The Construction of Aboriginality* (Canberra: Aboriginal Studies Press, 1988), pp. 191–217; Gillian Cowlishaw, 'Colour, Culture and the Aboriginalists', *Man*, 22 (1988), pp. 221–237; Andrew Lattas, 'Aborigines and Contemporary Australian Nationalism: Primordiality and the Cultural Politics of Otherness', in Julie Marcus (ed.), Writing Australian Culture, special issue of *Social Analysis*, 27, pp. 50–69.

67. Raymond Evans, Bill Thorpe, 'The Massacre of Aboriginal History', *Overland*, 163 (2001), pp. 21–39. Quotation at p. 36.

68. لأمثلة أخرى انظر:

Katherine Bischoping, Natalie Fingerhut, 'Border Lines: Indigenous Peoples in Genocide Studies', *Canadian Review of Social Anthropology*, 33 (1996), pp. 481–505. especially pp. 484–485; Robert K. Hitchcock, Tara M. Twedt, 'Physical and Cultural Genocide of Various Indigenous Peoples', in Samuel Totten, William S. Parsons, Israel W. Charny (eds), *Genocide in the Twentieth Century* (New York: Garland Press, 1995), pp. 483–514, especially pp. 498–501.

وللإبادة الجماعية السياسية Politicide (وهي عملية تغطي مدى واسع من النشاطات الاجتماعية، السياسية، والعسكرية التي تهدف إلى تدمير قابلية الحياة لجماعة كاملة من البشر") انظر:

Baruch Kimmerling, *Politicide: Ariel Sharon's War Against the Palestinians* (London: Verso, 2006).

69. بالنظر بحذر لهذه المعاني الضمنية الخطيرة فيما يتعلق باجتياح اسرائيل للأراض الفلسطينية، يقلل كولين تاتز من أهمية "صراع على الأرض وما تحمله الأرض" كمجرد تبرير الإبادة الجماعية الإثنية الكولونيالية.

Colin Tatz, *With Intent to Destroy: Reflecting on Genocide* (London: Verso, 2003), p. 180.

وفي أسفل الصفحة يلاحظ بأن "علينا أن نتذكر بأن السكان الأصليين الأستراليين، لم يكونوا مقدرين للمحو فقط لأنهم يعتبرون "ضارين"، أو لأنهم في بعض الأحيان كانوا يقتلون الماشية والمستوطنين، بل لأنهم فشلوا في الاختبار اللوكياني بأن يكونوا شعبا قادرا على اللباقة والتحضر، لم يكونوا قادرين أو راغبين في استغلال الارض التي يملكونها أو على الأقل حسب المفهوم الأوروبي."

70. Wolfe, 'Nation and MiscegeNation', pp. 110–118; Wolfe, *Settler Colonialism and the Transformation of Anthropology*, pp. 168–190. For US examples, see, e.g., Robert F. Berkhofer, *The White Man's Indian: Images of the American Indian from Columbus to the Present* (New York: Vintage Books, 1979); Hugh Honour, *The New Golden Land: European Images of America from the Discoveries to the Present Time* (New York: Pantheon, 1975). For responses to the phenomenon, see, e.g., Fergus M. Bordewich, *Killing the White Man's Indian: Reinventing Native Americans at the End of the Twentieth Century* (New York: Anchor Books, 1996); Ward Churchill, *Indians Are Us? Culture and Genocide in Native North America* (Monroe, ME: Common Courage Press, 1994).

71. Charles Zika, 'Fashioning New Worlds from Old Fathers: Reflections on Saturn, Amerindians and Witches in a Sixteenth Century Print', in Donna Merwick (ed.), *Dangerous Liaisons: Essays in Honour of Greg Dening* (Melbourne: History Department,

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

University of Melbourne, 1994), pp. 249–281; Zika, 'Cannibalism and Witchcraft in Early-Modern Europe: Reading the Visual Images', *History Workshop Journal*, 44 (1997), pp. 77–105.

72. في حزيران 2002، كانت نسبة الأطفال المشردين من السكان الأصليين أو التويس ستريت سكان الجزر {كما ورد في النصّ} حوالي 22% أي (2400) طفل. ويمثل هذا نسبة أعلى من الأطفال المشردين من السكان الأصليين بالنسبة للأطفال الذين ليسوا سكانا أصليين (20.1 لكل 1000 مقابل 3.2 لكل 1000).

'Children in Out-of-Home Care', in Australian Bureau of Statistics, *Australia Now* (Canberra: Australian Bureau of Statistics, 2004), s. 2, 'Australian Social Trends, 2003, Family and Community Services: Child Protection'.

"الأطفال المشردون" مركز الإحصاء الأسترالي، أستراليا الآن(كانبيرا: المركز الأسترالي للإحصاء، 2004)، 2 "الأنماط الاجتماعية الأسترالية، 2003: العائلة والخدمات-الاجتماعية: حماية الأطفال." تمثل الجملة التالية اشارة للتطور الذي حققه السكان الأصليين في أستراليا منذ الأيام المظلمة لسياسات المحاكاة. "في جميع المراسيم القضائية، فإن مبدأ وضع الطفل من السكان الأصليين، يوضح تفضيلا لأن يوضع الأطفال من السكان الأصليين مع آخرين من السكان الأصليين أو التوريس ستريت {كما ورد في النص} ساكني الجزر، وبالأخص ضمن عائلة الطفل الممتدة أو مجتمعه."

73. نظرا لأن التحول إلى اليهودية –الصعب بشكل نسبي- والذي يخضع لنسب الأم، فإن هذا العامل يشير إليه بحذر فيما يتعلق بفلسطين.

74. إن السكان الأصليين الذين يحاكون المجتمع الأبيض سيقدمون دليلا إيجابيا على أن أمريكا كانت مجتمعا منفتحا، حيث تجازى الطاعة والتكيف مع رغبات الأغلبية بمنح المساواة الاجتماعية".

Hoxie, *Final Promise*, p. 34. See also George P. Castile, 'Indian Sign: Hegemony and Symbolism in Federal Indian Policy', in Hoxie, Robert L. Bee (eds), *State and Reservation: New Perspectives on Federal Indian Policy* (Tucson, AZ: Arizona University Press, 1992), pp. 165–186, especially pp. 176–183.

75. إن النزعة نحو استبدال اليد العاملة الفلسطينية بيد عاملة رخيصة، بدأ مع بدايات 1990 كردة فعل على الانتفاضة الأولى. على الرغم من أنه تم الاستغناء عن تلك السياسة بشكل رسمي لأنها ولدت مشاكلها الخاصة، إلا أنه حوالي 8% من سكان اسرائيل يتشكل من مهاجرين غير شرعيين(والذين هم بالتعريف ليسوا يهودا) انظر:

Shmuel Amir, 'Overseas Foreign Workers in Israel: Policy Aims and Labor Market Outcomes', *International Migration Review*, 36 (2002), pp. 41–58; Eric Beachemin, 'Illegal in Israel', Radio Netherlands broadcast, September 15, 2004. Available at: http://www2.rnw.nl/rnw/en/features/humanrights/tornlives/ilegalinisrael?view=Stan d ard Leila Farsakh, 'An Occupation that Creates Children Willing to Die. Israel: an apartheid state?', *Monde Diplomatique,* English, 4 November, 2003. Available at: http://mondediplo.com/2003/11/04apartheid

76. على الرغم من أن سلطة التشريعات الرسمية كانت تمارس في وقت معين من قبل السود في الولايات الجنوبية التي تقطنها أغلبية سوداء خلال فترة الإصلاحات. انظر:

See Thomas C. Holt, *Black Over White: Negro Political Leadership in South Carolina during Reconstruction* (Urbana, IL: Illinois University Press, 1977).

77. W. Fitzhugh Brundage, *Lynching in the New South: Georgia and Virginia, 1880–1930* (Urbana, IL: Illinois University Press, 1993); Leon F. Litwack, *Trouble in Mind: Black Southerners in the Age of Jim Crow* (New York: Knopf, 1998); Joel Williamson, *The Crucible of Race: Black–White Relations in the American South Since Emancipation* (Oxford: Oxford University Press, 1984), pp. 180–223.

78. "من الممكن أن تحلل عمالة العبيد من خلال أدوات اقتصادية، اجتماعية وسياسية {في التاريخ الحديث} لكن العمالة الحرة كانت تعرف بالعادة ببساطة كنهاية الإكراه، وليس كبنية من العمالة التي كانت بحاجة لأن تحلل بخصوصيتها."

Thomas C. Holt, Rebecca J. Scott, Frederick Cooper, *Beyond Slavery: Explorations of Race, Labor, and Citizenship in Postemancipation Societies* (Chapel Hill, NC: North Carolina University Press, 2000), pp. 2–3.

79. على الرغم من أنه باحث دقيق جدا ليعترف بأن "الأفعال الاسرائيلية تقترب من أن تكون إبادة جماعية".

Tatz, *With Intent to Destroy*, p. 181.

80. إن عقوبة الموت تعتبر الآن روتينا لا يتم مساؤلته كعقاب على إلقاء الحجارة الإسرائيلين".

Robert Fisk, *The Great War for Civilisation: The Conquest of the Middle East* (London: Fourth Estate, 2005), p. 546. Quoted in Tatz, *With Intent to Destroy*, p. 11.

لقد اخترت أنا أناصر بروفيسور تاتز من خلال الاستشهاد بالموافقة من كتابه الذي هو من جهة أخرى مفيد جدا، والذي تعلمت منه الكثير، خصوصا فيما يتعلق بالانحراف الجوهري بالنسبة للصهيونية المعاصرة، والتي أعارضها من كل قلبي، وبشكل خاص ازدرائي لمحاولاته الخلط بين معاداة الصهيونية ومعاداة السامية (على سبيل المثال ص 19، 27، 127) وبعيدا عن كل شيء إن هذه المحاولات تشدد على اللاعدالة للضحايا الحقيقيين لمعاداة السامية.

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016

This article was originally published in English as: Patrick Wolfe, 'Settler Colonialism and the Elimination of the Native', *Journal of Genocide Research*, 8, 4 (2006), pp. 387-409.

This translation is published with the permission of the publisher, Taylor & Francis Ltd (www.tandfonline.com). Patrick Wolfe would like to express his appreciation to the translator, Dalia Taha, and to Taylor & Francis.

Downloaded by [216.230.148.77] at 13:09 04 June 2016